

روايات مصرية للكتاب



58

# أسطورة أرض العفلايا

ما وراء الطبيعة



[www.dvd4arab.com](http://www.dvd4arab.com)  
Hany3H  
و. محمد خير الدين



## مقدمة المقدمة

هناك ذلك الظل الذى تراه أمامك .. ثم تنتظر للوراء  
فلا ترى أحداً ..

هناك ذلك الحفيف الذى يضايق العصبيين ، والذى  
لا مصدر له ..

هناك تلك الغمغمة التى تقسم إنها ضحكة ساخرة ، لكن  
لا أحد يضحك ضحكات ساخرة ..

هناك الخوف من المجهول .. هناك التوجس .. هناك المفارقة  
الدرامية ، حين تعرف أن الخطر ينتظر هناك خلف الباب  
الموصد ، لكن صوتك لا يصل - ولن يصل - إلى الأحق الذى  
يوشك على فتح الباب ..

هناك الخوف من الغد .. وهو - لغزى - أشد أنواع الرعب  
شناعة ..

لماذا لا يكتبون على ملصقات الأفلام التى تناقش الخوف  
من الغد عبارة ( ممنوع لأقل من ١٦ سنة ) ؟

لنا العجوز الأحق ( رفعت إسماعيل ) الذى يحاول مراوغة

الموت .. للدقة أكثر : مراوغة التفكير فى الموت ، وهذا  
عن طريق حكاية قصص مسلية لكم .. قصص تتمسح  
بالرعب .. تدنو منه أو تبتعد .. تتأبط ذراع الظواهر الخارقة  
أحياناً .. تلبس عباءة الغرائب أحياناً أخرى ..

لكنها قصص لعوب .. خبيثة .. تحاول بأية طريقة كانت  
أن تلفت النظر لنفسها ، وهى فى سبيل ذلك تفعل أى  
شئ ..

عم نتكلم اليوم ؟

هل حكيت لكم قصة ( المقبرة ) ؟ نعم ؟ لم أستمع لها بعد ؟  
غريب هذا .. خيل لى أننى أكملتها .. لكنى سأطلب منكم  
معروفاً .. لقد تأهبت لحكاية أرض العظايا .. منذ أعوام وأنا  
أتوق لأرض العظايا .. القصة مكتوبة بخط الأخ ( سالم )  
ولن تحتاج منى إلى جهد غير القراءة .. مع تصحيح بعض  
أخطاء القواعد ، التى يمارسها بدقة غريبة كأنها هى  
القواعد ذاتها ..

اتفقنا ؟ سأقترح المجال لـ ( سالم وسلمى ) على أن نلتقى  
على خير فى المرة القادمة ، ونكمل قصة المقبرة ..

لماذا أفعل هذا ؟



لأنكم اعتنتم نزوات ( رفعت إسماعيل ) ، وعرفتكم أنه  
لا يفعل شيئاً أبداً كما يفعله السادة المهذبون الآخرون ..  
يبدأ من النهاية ، ويتوقف في الوسط ، ويخرج من النوافذ ،  
ويشم الهواء من الأبواب ..  
فلنصغ إذن لـ ( سالم وسلمى ) ..

## مقدمة

أنتم تعرفوننا جيداً .. لنا ( سالم ) وهي ( سلمى ) .. الدليلان  
الحيان على وجود ما يعرف بالعوالم الموازية ، وهو دليل  
لا يمكن إذاعته للأسف ..

هي ( سلمى ) ولنا ( سالم ) .. صحيح أننا زوجان لكننا كذلك  
نوشك على أن نكون الشخص ذاته ، وهذا يسبب لنا الكثير  
من الضيق والهم .. سؤال الفلاسفة الأرسلي : هل تشابه الطباع  
لفضل أم توافقها ؟ كيف تستطيع المشي لو كانت كلاكُميك  
يمنى ؟ لو رأيت عينك الشيء ذاته لفقدت القدرة على التجسيم ..  
نحن نجول في العوالم التي تشبه الأرض مع اختلاف  
بسيط .. مرة نحن في عالم لم يعرف بعد اللغة الهيروغليفية ،  
ومرة نحن في عالم لم يظهر فيه ( قطز ) قط ..

إن مغامراتنا حقيقية .. أؤكد لك هذا .. لكن كتاب الأرض  
يكتبون نوعاً من الأدب يشبه ما نمر به ، ويطلقون عليه  
اسم ( التاريخ البديل ) أو Allohstory .. وقد يطلقون عليه  
مصطلحات مثل ( الخيال المضاد Counterfactuals ) أو قصص  
( ماذا إذا ؟ ) أو ( الأوكرونيات Uchronias ) ..

ملحوظة مهمة : أكثر المصطلحات والأسماء الغريبة الواردة  
هنا قمت بكتابتها بالإنجليزية ، والسبب ليس التحذلق ولكن  
لأن بعض الأصدقاء طالبوني بهذا مراراً ، ليسهل عليهم  
معرفة ההجاء الصحيح ، فالبحت عن المزيد من التفاصيل  
في الإنترنت إذا أرادوا .. هذا مطلب عادل مهم .. ولأسف  
أحاول الالتزام به في كل ما أكتبه فيما بعد إن شاء الله ..



على كل حال لن أطيل عليكم .. إن المصطلحات هي  
الشيء الذي يجعل الماء شيئاً مستحيل الشرب أو الفهم ..

أنا وزوجتي ضيفان هنا ، وقد عرفتمونا في ( أسطورة  
أرض أخرى ) و ( أرض المفلول ) .. لماذا لا تعرفوننا من  
جديد في ( أرض العظايا ) ؟

لا مزيد من التفاصيل ، ولن أضيع أربع صفحات في تلخيص  
القصتين السابقتين كما يفعل ( رفعت إسماعيل ) .. إنه يملك  
الكثير من الوقت والكلمات ، بينما نحن نعاني حالة مزمنة  
من الشح فيهما ..

هل نبدأ ؟

فلتبدأ ..



## ١ - أرض أخرى ..

لا أعرف السبب في أن كل مغامرة جديدة لنا تبدأ ونحن  
في أسوأ حال ممكن ..

٢٥٠ - ٧٧ ..

هذا هو المكان والزمن الذي حملنا إليه الجهاز .. لو كان  
لي أن أحكم بالحدس فإن هذا الكوكب بهيج .. أنا مولع  
بالكواكب التي تبدأ برقم ٢٥٠ كما تعرفون ..

كان كعبي يوشك على قتلى .. من قرءوا المغامرة  
السابقة يعرفون أنني تلقيت رصاصة فيه ، ولا أعرف إن  
كانت قد غادرت أم لا .. يداي غارقتان في دماء متجمدة  
لا أعرف إن كانت تخصني أم تخص الجثث التي قمت  
بسرقها كالضباع .. أضف لهذا أن يدي نفسها متجمدة من  
الجليد ..

٢٥٠ - ج - ٧٧ ..

( سلمى ) ليست أفضل حالاً وإن كانت غير جريحة ..  
لكنها تشعر بالأكم ذاته في كعبيها ..



كنا راقيدين على الأرض وسط الرمال .. الطقس حار فعلاً  
وإن لم نشك من هذا ..

قالت لي وهي تتحسس رأسها :

- « لا أعرف أى شيء عن هذا العالم ، ولما سنلاقيه  
هنا ، لكن أول تجربة سنمر بها هي اعتقالنا بتهمة التشرد .. إن  
منظرنا لا يوحي بالثقة .. »

- « فى أرضى أنا يطلقون على هذا ( محضر اشتباه  
وتحر ) .. »

ثم راحت تتشمم الهواء الساخن من حولنا .. وقالت :

- « ( سالم ) .. اعتقد أننا فى المنطقة العربية .. هذه  
صحراء عربية ولتقطع ذراعى إن لم أكن على حق .. »

- « الصحراء هي الصحراء فى كل مكان فلاداعى  
للرهان .. »

ونهضت وساعدتها على النهوض .. كنت أتواذب كاللقلق  
وخطر لي أنني أمشي فى ثقة إلى النهاية الإغريقية المحتومة ..  
التلوث .. الغفريتنا .. بتر قدمي من تحت الركبة ..

لا بد من حل ما ..

٢٥٠ - ج - ٧٧ ..

أضفت وأنا أرمق الأفق حيث الجبال تحيط بنا من  
الجهات الأربع :

- « ثمة مشكلة أخرى ، هي أننا لا نعرف طريق العودة ..  
لا نعرف أين يوجد الناس .. لرى أن تجربى مجموعة أخرى  
من الأرقام .. »

قالت وهي تتواذب بدورها :

- « لكن المغامرة لم تبدأ بعد .. »

- « حتى المغامرة لا نعرف كيف نصل إليها .. لا بد من  
اتجاهات صحيحة تدلنا على مكان المغامرات هنا .. »

قالت فى ضيق :

- « ( سالم ) .. لا تضايقتى .. على الأقل لا يوجد أى عامل  
ضغط من حولنا .. نحن حيران مسيطران على الموقف ،  
فلماذا لا نتمهل بدلاً من إحباط كل شيء قبل أن يبدأ ؟ »

وكانت هذه هي المزية لفريدة لتجربتنا .. أنا أحب الأماكن  
التي يوجد لها باب هرب خلفي للطوارئ .. فى اللحظة التي  
تسوء فيها الأمور ، تمسك بالجهاز و ( كليك .. كلاك .. ) ..  
تنتهى كل المشكل فى ثانية .. وتبدأ من جديد .. لظالما تمنيت  
فى كل مازق حياتي - قبل أن ألقى ( سلمى ) - لو كان عندي  
هذا الباب الخلفي ..



ثمة مشكلة واحدة .. هي أنني لا أعرف على الإطلاق  
ما هي حياتي الحقيقية .. ما هي مشاكلي الحقيقية .. لا بد من  
نقطة ارتكاز تقف عليها وتجرب الاحتمالات .. لكنني بدأت  
فعلاً أفقد نقطة الارتكاز هذه .. كان ( أرشميدس  
Archimedes ) يقول : هاتوا لي نقطة ارتكاز خارج الكرة  
الأرضية ، ولسوف اخترع روافع تحرك الأرض .. حتى  
( أرشميدس ) لم يجد نقطة ارتكاز ..

واصلنا السير ..

وأنا نمطى جداً في مشاعري .. ما إن أرى الصحراء  
حتى أشعر بالظماً .. هكذا دون أن أعطي خلاياي فرصة  
تجربة الجفاف .. وقد بدا لي الأمر رهيباً ..

- « هل تشعرين بالظماً ؟ »

- « كف عن المزاح .. أنت تعرف أننا متطلبان شعورياً ..  
لكن الأمور لم تتطور إلى هذا الحد .. »

سبحان الله .. منذ ربع ساعة كنت أرتجف برذاً وسط  
الثلوج .. والآن أنا أموت عطشاً في الصحراء ..

كنا نمشي وسط الرمال الناعمة الساخنة .. لا توجد نقطة  
ظل من أي نوع .. لا بد أنه متور في مكان ماتحت لقدامنا ..

لعابي لزج ثقيل .. الهواء الساخن يخرج من أنفي كأنما يخرج  
من فتحة فرن ..

قلت لها في ضيق :

- « لرى أن هذا يكفي .. »

- « ربع ساعة في هذا العالم ؟ إذن أنت لن تجد مكاناً  
يناسبك في لكون كله .. تريد مكناً بلامعقاة من أي نوع ؟ »

- « أصبت ! هذا من حقى ما دمت أملك الاختيار .. »

\*\*\*

لكن الأمور لم تتحسن ..

لا بد أننا مشينا نحو ساعة أو أكثر بلا جدوى ..

هناك جبال من بعيد .. جبال تصبة فقيرة لا تسرُّ  
الناظرين ، عليها بعض نباتات أو طحالب كنيبة المنظر ..  
وعلى كل حال ليس بلوغ هذه الجبال بالهدف المحبب ..  
لا بد أن تلك التجاويف تحوى ثعابين أو عقارب أو أي شيء  
من تلك الأشياء التي تعرف كنهها ، لكنها بشعة تتحرك !

وفجأة تعالى صوت الهدير من بعيد ..



بللت شفتى السفلى بلسان جاف وهمست :

« طائرة ! »

قالت وهي تنظر لأعلى :

« هذا صحيح .. لكن أين ؟ »

الهدير يأتى من كل مكان ، ثم بدأ الأمر يتحسن ..

إنه آت من الغرب ..

أخيراً لاحظت لنا الطائرة السعودية .. قادمة من الأفق

ترحف نحونا فى إصرار وتؤدة ..

لسبب ما لم أحب هذه الطائرة ..

وثبتت ( سلمى ) فى الهواء ملوحة بيدها .. وراحت

تصدر أصواتاً مثل ( أووه ! هيبه ! نحن هنا ! »

قلت لها فى توجس :

« اصمتى يا بلهاء .. هؤلاء قد لا يكونون ملائكة .. إن

الملائكة لا تأتى دوماً بطائرات مروحية .. »

ونظرنا لأعلى .. لم يكن لكلامى جدوى ، فالسمع ليس

من الحواس التى يحتاج إليها هذا الطيار ؛ لأننا منظوران

واضحان تماماً .. لو لم يرنا هذا الطيار فهو أول طيار كفيف  
فى التاريخ ..

الآن صارت الطائرة فوقنا ، والذى أشار دهشتى أنها لم  
تطلق وإبلاً من النيران .. لم تقذف علينا قنبلة .. لم ترسل  
لنا سماً من الحبال .. لم تفعل شيئاً على الإطلاق ..

ظلت تحوم حولنا على ارتفاع أمتار ، واستطعت أن أرى  
أن هناك من يطل من بابها ..

وكان يحمل كاميرا ..

بعد قليل فهمت أنهما رجلان ينظران لنا باهتمام وكلاهما  
يحمل كاميرا ..

.. ESF

متى رأيت هذه الحروف وكيف ؟ لا أعرف .. فيما بعد  
عرفت مصدرها .. كانت مكتوبة على الطائرة ، لكنى لم أجد  
الوقت الكافى لتبينها ، ولهذا تسريت إلى عطفى الباطن .. هذا  
شئ معروف .. كل خبير فى علم نفس الإعلان يعرف هذا ..

على الرغم منى ابتسمت محاولاً أن أكون وسيماً .. وتخيلت  
صورتي من أعلى أنظر إليهما بأعجبى نظرة ممكنة ..



لماذا لا يمدون لنا يد العون ؟ لماذا لا يقتلوننا ؟ لماذا  
لا يقولون شيئا ؟

قالت (سلمى) وهى تنظر لأعلى محاولة أن تتحاشى  
نور الشمس .. الشمس التى تتوارى خلف الطائرة كاشفة  
عن أنيابها من حين لآخر لتحرق عيوننا بألف نصل  
ساخن :

- « (سالم) .. يبدو أنك كنت على حق .. »

- « أنا دوماً على حق .. ولكن لماذا ؟ »

- « هناك رجل ثالث يصوب بندقية نحونا ! »

## ٢- أرض العظايا ..

انطلقت الرصاصة ..

لم أعرف ما حدث .. وحسبت أنها أخطأت طريقها ..

لكنى نظرت إلى الوراء نحو (سلمى) فوجدتها تجثو على  
ركبتها وتمد يدها إلى شيء فى كتفها .. كانت تترنج ..

هتكت كمن يولول :

- « أيتها الأوغاد !! »

وتوقفت نحوها .. رأيت ذلك الشيء مغروساً فى كتفها .. لم  
تكن هناك دماء .. كان هناك ما يشبه الريشة الهفافة البيضاء  
يخرج من ثيابها .. ولم أفهم فى البدء ثم تذكرت :

- « هذه طلقة مخدرة .. إنهم ... »

لكنها كانت تترنج مغمضة العينين .. ثم هوت على  
وجهها وسط الرمال ..

نظرت لأعلى ولوحت بقبضتى وأطلقت فيضاً من الشتائم ،  
لكنى حين نظرت لركبتى وجدت ذلك السهم ذا الريشة يتشبث  
بلحمى فى ثبات ! لقد أصابونى لا أعرف متى ولا كيف ..





الظلام يبدأ من مركز الرؤية ثم ينتشر كبقعة من الحبر ..

أسمع صوت الطائرة يتعالى ..

أشعر بالهواء العنيف من مراوحها ..

.. ESF

.. ESF

أعرف أنها تهبط وأنتى ...

\*\*\*

حين فتحت عيني كانت هذه المرة الأولى التى أرى فيها  
د. (ستارسكى) ..

حاولت تحريك ذراعى فلم أستطع .. السبب طبعاً هو  
أننى مكبل بسيور جلدية إلى مقعدى ..

المكان خليط غريب من المختبر وقاعة المحاضرات  
والمطبخ ومكتب وكيل الوزارة .. أما الرجل الذى ينظر فى  
عيني باستعمال كشاف صغير فهو د. (ستارسكى) كما  
عرفت فيما بعد ..

كنن يمسك بلوح كتابية من الطراز الذى تثبت فيه الأوراق

بمشبك .. وجواره يقف ثلاثة يرتدون المعاطف ويحمل كل  
منهم شيئاً مماثلاً ..

قلت فى وهن :

- « أين نحن ؟ »

نظر إلى من حوله ، وقال بلهجة واثقة :

- « كما قلت لكم .. هو يتكلم لغة ما .. أحسبها العربية .. »

نسيت أن أقول إنه قالها بالإنجليزية .. لست خبيراً فى  
اللهجات لكنى أحسبها إنجليزية أمريكية .. كما ينطقونها فى  
الأفلام .. كان كل أمريكى مصاب بالحمية إلى أن ثبت  
العكس ..

لم أكن ضليعاً فى الإنجليزية ، لكنى تلقيت قسطاً هاملاً  
من التدريب فى القصة السابقة ، وصرت بالفعل أجيدها ..  
لهذا عدت أكرر سؤالى بالإنجليزية :

- « أين نحن ؟ »

ثم تذكرت السؤال الأهم :

- « أين (سلمى) ؟ »



نظر إلى جوارى نظرة ذات معنى ، فاستدرت لأرى أن  
(سلمى) مقيدة على مقعد مجاور لى .. كانت غائبة عن  
الوعى لكنها حية .. صدرها يعلو ويهبط ورأسها يموج  
بحركة ما ..

قال الرجل وهو ينظر إلى الآخرين :

- « يعرف الإنجليزية .. هذا غريب .. »

ثم قال لى وهو يواصل تفحص عيني :

- « اسمها (سلمى) ؟ هذا اسم عربى على ما أظن ؟ »

- « من أنت ؟ »

- « ما سبب تلك الطلقة فى كعب قدمك ؟ »

وهنا تذكرت الطلقة ، ونظرت لأسفل لأجد أن كعبي  
مضمد بعناية لا بأس بها .. والأهم أن الألم زال تمامًا ..  
هؤلاء السادة لم يتركوا قدمي تتعفن حتى تبتر .. هذه نقطة  
لهم .. لكنى لست سريع الصفع بهذه الدرجة :

- « من أنت ؟ »

هنا جاءت الإجابة من أحد الواقفين :

- « هل تحلل عينات الدم الآن يا د . (ستارسكى) ؟ »

هز رأسه أن نعم .. ثم مد يده إلى جيبه وأخرج شيئاً ..  
كنت حتى هذه اللحظة أعاني دواراً كأن هناك طبقة  
ضباب ملتصقة بوعى والعالم كله .. عوينات متسخة  
بالشحم لا يمكن خلعها أو غسلها ..

لكنى رأيت ما فى يده فتنبهت حواسى على الفور ..

هذا هو جهاز الانتقال .. طبقاً كان فى جيب (سلمى)  
ووجدوه ، وطبقاً لا يعرفون كنهه .. ومن الواضح أننا  
سنعاني الكثير حتى نسترده ثانية .. لقد ولدت المغامرة  
والحمد لله !

قال لى فى برود :

- « ما هذا الجهاز ؟ »

كانت هناك كذبة واحدة جاهزة ، وقد قررت أن أستعملها  
لمرة أخرى :

- « هذا منظم لضربات القلب .. إنها تعتمد عليه للبقاء  
حية .. »

ابتسم ونظر فى عيني :

- « أنت سمعهم يدعونى بـ (كتور) .. أنا طبيب وليس



من السهل خداعي .. ثقي من أنني رأيت كل أنواع منظمات القلب .. وعلى كل حال لا أفهم من أين يمكنك الحصول عليه ؟

- « هذا هو الطراز الذي لم تره .. »

- « ليكن .. سأتحمل المخاطرة وأفترض أنك كاتب .. والآن هلا قلت لي كنه هذا للجهاز ؟ »

- « ليس لدي سوى ما قلت .. »

- « ماذا تفعلان في أرض العظايا ؟ »

- « لا أعرف عم تتحدث .. »

نظر لي كأنما أسقط في يده بفضل ثباتي وقوة شكيمتي .. ثم التفت إلى الرجال وقال :

- « خذوهما إلى الداخل .. »

إن نحن في الخارج .. ولم أدر كيف ولا متى فكوا قيودي .. ولا كيف صارت ( سلمى ) تمشي على قدميها بطريقة ثملة تدعو إلى الشفقة ..

لكننا في النهاية وجدنا مجموعة من الأقفاص الهائسة ..

أنا لا أعرف شكل الأقفاص التي كان الرومان يسجنون فيها العبيد قبل المصارعة ، لكن هذه لم تختلف كثيراً ..

رائحة عطنة .. ظلام دامس .. باب حديدي صدئ يتغلق .. قفل ثقيل يوضع ..

ثم شيء يزاح من تحت الحديد .. طعام على الأرجح ..

أخيراً نطق ( سلمى ) :

- « هل .. هل للجهاز معك ؟ »

أرحت ظهري إلى حديد القفص وتهدت :

- « لخنوه طبعاً يا حمقاء .. ماذا كنت تتوقعين ؟ لقد صار هذا مملاً .. »

بللت بلساتها شفتها السفلى .. فزحفت على ركبتي إلى حيث كان الشيء الذي أدخلوه لنا .. تحمسيت بيدي فشعرت بأصابعي تنغمس في مادة لزجة .. غالباً هي تؤكل لكن ملمصها لا يدعو إلى الحماسة ، وثمة دورق ماء يحيط به البتل للرطيب الجميل ..

حملته وزحفت إلى حيث كانت جالسة في الظل .. أراها بصعوبة لكنها غير مخنفة .. ناولتها الدورق فراحت تجرع الماء في نهم حتى لكتفت .. ثم تناولت الدورق لأل نصيب ..



قالت وهي تلهث في الظلام :

- « أين نحن بالضبط ؟ »

قلت لاهثاً بدوري من دون سبب :

- « سألت كل هذه الأسئلة السخيفة من قبل .. بل وسألت :  
من هؤلاء .. وماذا يريدون منا .. لا إجابة .. للمؤكد أن  
هؤلاء أمريكيو هذا العالم .. وأن هناك من يدعى الدكتور  
( ستارسكي ) .. يبدو أنه عالم أو شيء من هذا القبيل ..  
وقد اصطادونا بطريقة تذكرني بصيد الغزلان البرية ..  
النقطة الأخيرة هي أن هذه أرض العظايا .. »

كررت الاسم في استهجان :

- « عظايا ؟ »

وضغطت على ( العين ) كأنها موشكة على القراء .. ثم  
أردفت :

- « ما دور العظايا في الموضوع ؟ »

- « لا أدري .. وأكون مشكوراً لو عرفت منك ما هي  
العظايا .. »

قالت في الظلام :

- « العظايا هي الديناصورات .. عظايا الرعب ( وسوروس ) ..  
العظايا الطاغية ( تيرانوسوروس ) .. الخ .. هل رأيت أية  
محلية هنا ؟ »

- « لم أر .. لاحظت أنني غبت عن الوعي بعكس حقيقة .. »

قطبت ( منمى ) في الظلام .. تصألني كيف عرفت ؟  
ألا تعرف الصوت المقطب حين تسمعه ؟

قالت :

- « ترى ما هو سر هذه الأرض ؟ »





- « منذ متى أنتما هنا ؟ »

أجفنا من الرعب ، ثم تبين أن هذا الصوت المنهك يأتي عبر القضبان ..

قلت لها وقد أمسكت بيدي رعباً :

- « لا تخافي .. هذا هو للموقف الشهير .. مع ( الكونت دي مونت كريستو ) يكون هذا الجار هو السجين ( فلريا ) الذي يعرف سر الهروب .. حتى في السجون عندنا تسمعين من الزنزاة المقابلة من يسألك : ما هي تهمة يا ( زمّل ) ؟ بضم الزاي والميم طبعاً .. »

ثم بحثت عن مصدر الصوت وهتفت :

- « نحن هنا من دقائق .. من أنت ؟ »

وهنا فطنت لحقيقة أنه يتكلم العربية .. عربية غريبة مضغضة نوعاً لكنها كافية ..

قال الصوت المتعب من مكان ما عبر القضبان :

- « أنا ( إسماعيل خان ) .. عالم باكستاني .. لا أعرف إن كان هذا يفيدكما .. »

قلت له في تعب :

- « اعتقد أنك تملك الإجابة عما يحدث هنا .. »

- « سوف تريان .. » - قالها في غموض - « سوف تريان .. »

حتى رفيق السجن أو ( الزمّل ) - بضم الزاي والميم طبعاً - لا يبدو ثرثاراً هنا .. كل الأطراف غير عادلة تتوقع منا أن نعرف بنفسينا وإلا فلا .. على كل حال اعتقد أن هذا الرجل ليس عربياً على الإطلاق .. ربما هو هندي أو أفغاني أو ملايزي ..

وهكذا مرت علينا الساعات .. بين نوم واكتئاب ، واكتئاب ونوم .. وتساولات لا تنفد أبداً ..

بعد ساعات أو أيام أو أشهر - لا يمكن معرفة الوقت في هذا الظلام الدامس - جاء من أصحابنا إلى ما يشبه غرفة التحقيق ..



لا بد أنها كانت ساعات .. لأننى لم أحتج إلى استعمال  
الحمام مرة واحدة ولو احتجت لوجدت نفسى فى مأزق ..

\*\*\*

الآن وقد ثبت إلى رشدى قليلاً يمكن أن أصف لكم  
الدكتور (ستارسكى) .. إنه رجل ذو ملامح مزعجة .  
يمكن أن تقول بشكل سطحي إنه وسيم أشقر .. لكن فى  
وجهه قسوة وبروداً ، وهو من طراز الوجوه التى لا تشيخ  
مما يثير الرعب فى عروقك .. كأنه وجه مصاص دماء  
أو (زومبي) ..

كان هناك مقعدان ، وكان هناك عدد من الحراس مفتولى  
العضلات يدس كل منهم سماعة فى أذنه .. لا أعرف من  
اكتشف أن الرأس الأصلع يجعل المرء يبدو أضخم وأشرس ،  
لكن هذا الاكتشاف بلغ هذا العالم .. وكانوا يلبسون بزات  
عسكرية ما لكن بلا غطاء رأس .. هذا المكان عسكرى إذن ..

لماذا يلف كل منهم حول عضده شارة تقول ESF ؟  
ما معناها ؟

ثمة جهاز تسجيل يدور ببطء ، وثمة إضاءة تذكرك  
بغرف استجواب النازيين ..

ما إن دخلنا حتى أشار لنا بالجلوس ، وقال :  
- « هل أقدم لكم مشروباً ؟ »

- « بالتأكيد .. »

فالحقيقة أن الحرارة كانت مرهقة بالفعل .. من الواضح  
أننا لم نفارق المنطقة الصحراوية بعد ..

جاء أحد الحراس حاملاً زجاجة بها سائل أصفر ، وبعض  
الأكواب الملأى بالثلج ، فقال الطبيب وقد رأى ارتباكنا :

- « عصير برتقال لا أكثر .. نحن فى وحدة عسكرية  
ولا يسمح بالكحوليات .. أعرف أنكمّا معشر العرب  
لا تشربونها أصلاً ..

وهكذا أمسكت بالكوب .. ونظرت إلى (سلمى) .. كانت  
ترشف ما فى كوبها ، وخلاياها تنتعش .. تينع بعد جفاف ..  
فعلت مثلها وشعرت بما شعرت به ..

هنا نظرت إلى المنضدة فرأيت الجهاز العزيز .. جهاز  
الانتقال .. إنه هنا ..

قال الطبيب وهو يصب لى كوباً آخر :

- « والآن هل يمكنك أن تتكلم ؟ من أنتما ؟ لماذا أنتما  
هنا ؟ هل أنتما عربيان حقاً ؟ »



ثم لوح بالجهاز :

- « وهذا ؟ ما وظيفته بالضبط ؟ »

قالت ( سلمى ) وقد بدا أنها تحبس أنفاسها :

- « هذا جهاز خاص للترجمة .. هل تسمح لى ؟ »

مد يده فى تردد ووضع الجهاز فى كفها المفتوحة ، ثم أراح ذقنه على قبضته وراح يتابع ما تفعله ..

- « نطلب رقمًا .. ليكن ٣٠٠ مثلاً .. ثم نضغط حرفًا ..

ليكن ( الهاء ) .. ثم ... »

كان الجهاز على حجرها ، وكانت تضغط على الأزرار بإصبع واحد ، ثم إنها مدت يدها اليسرى فى رفق لتمسك بيدي اليمنى من تحت مستوى النظر ..

- « نختار رقمًا مثل ... »

هنا هتف الرجل :

- « كفى ! »

- « لحظة .. ٢ .. ٨ ... »

- « قلت كفى ! »

ثم نهض بسرعة ليرى وتترع - ذلك للوغد للكنى - الجهاز من يدها قبل أن تتم عمليتها ، وقال وهو يدسه فى جيبه :

- « لا أعرف ما أنت بصدده لكنى لن أسمح بأن تتجسسى فيه .. والآن أرجو أن تجيبا عن أسئلتى .. »

قلت له ولنا أضع للكوب :

- « أسئلتى مثل أسئلتك بالضبط .. من أنتم ؟ لماذا أنتم هنا ؟ هل أنتم أمريكيون ؟ »

تبادل النظرات مع الرجال ثم سألتنى :

- « ما معنى ( أمريكيون ) ؟ »

تباهت نظرة مع ( سلمى ) .. إما أن تميزى اللهجات فاشل ، وإما أن هذا هو الاختلاف الأساسى .. هذا عالم لا توجد فيه أمريكا .. طبقًا سيتضح أن ( كولومبوس Colombes ) لم يصل إلى ساحل أمريكا ، ربما لأنه كان أحمق ، وقد غرقت سفينته .. أو لأن بحارته ثاروا وألقوه لأسماك القرش .. وهو ما كان سيحدث فى عالمى على كل حال لولا أنهم بلغوا الشط قبل أن يتموا خطتهم ..

هكذا لم أجب وأجابت ( سلمى ) عن السؤال بآخر :

- « ما حقكم فى احتجازنا ؟ هل أنتم شرطة ؟ »



تتهذ الرجل في إتهاك ، وراح يصف أوراقه ، ثم قال دون  
أن ينظر لنا :

- « واضح تمامًا أننا لن نصل لطريق مشترك .. كلما  
سألت سؤالاً تلقيت آخر .. لا بد من أن يجيب أحد الطرفين  
عن الأسئلة أحياناً .. »

- « قل هذا لرجالك وانفسك .. »

أشار إلى الشارة المعلقة على عضد الحارس الواقف  
جواره ، وقال :

- « نحن من الـ FSF .. هل هذا كاف ؟ هذا يعطينا كل  
الحق في استجوابكما .. »

- « وما هي الـ ESF ؟ »

بدا كأنما تعلم أسلوبنا في عدم الإجابة على شيء ،  
فنهض ورتب أوراقه ، ثم قال وهو يغادر المكان :

- « ثمة طائرة ستحملكما إلى ( لوس أنجلوس ) صباحاً ..  
اعتقد أنهم هناك سيعرفون عنكما كل شيء .. »

( لوس أنجلوس ) ؟ إذن ما معنى أنه لا يعرف معنى  
لفظة ( أمريكيون ) ؟

دنا منا أحد الحراس .. إنه غير مسلح لكن من الواضح  
أنه لن يتورع عن استخدام العنف .. وهكذا مشينا معه في  
تهذيب .. لكنه لم يقتدنا إلى الأقفاص إياها .. بل إنه أجلسنا  
في مكتب مكيف مريح نوعاً .. مكتب لا يحوى (الـ جهاز  
كمبيوتر وثلاجة صغيرة .. ثمة نافذة صغيرة وأريكة وثيرة  
وبعض نباتات الظل .. هناك - لحسن حظ الجميع - حمام  
صغير نظيف في غرفة صغيرة جانبية ..

ثم أغلق الحارس الباب ..

بمجرد خروجه فعلت ( سلمى ) الشيء الذي كنت أعرف  
أنها ستفعله باعتبارها براءة في الإلكترونيات .. لن أقول  
إنها أكثر براءة مني ، لأنه لا براءة لي على الإطلاق ..  
لا يمكن أن تقارن بيننا على أساس كثافة شعر اللحية  
أو نسبة هرمون الأنوثة .. هذه أمور غير واردة أصلاً ..

لقد فتحت جهاز الكمبيوتر ' هذه معجزة كما ترى ..

قالت في ضيق وهي تتأمل الشاشة :

- « ليس لديهم نظام تشغيل أعرفه .. مثل ( الخوارزمي )  
أو ( الإبريسي ) .. لا أعرف كيف يبدأ البحث في هذا الشيء .. »

تذكرت أن الكمبيوتر في عالمها اختراع عربي صرف ،



وليس لديهم أسماء كلتي نستعملها على غرار ( ميكروسوفت )  
( النوافذ ) .. الخ ...

لكن على الشاشة - حيث ما تسمونه سطح المكتب -  
كانت هناك صورة عملاقة لديناصور ( سبيونوسوروس Spinosaurus )  
ضخم يقف جوار بحيرة واعدًا بخراب بيت  
من يقترب .. وكانت هناك الحروف المعتادة ESF كتبت  
بحروف مجسمة عملاقة كأنما تطير مع السحب في  
السماء ..

فيما عدا هذا بدا كأن الشاشة جدار مبهم لا يمكن  
تجاوزه ..

حتى الصور الصغيرة - هل تسمونها الأيقونات ؟ - كلها  
تمثل ديناصورات متنوعة ..

أغلقت الجهاز وقالت :

- « لا أعرف .. لا يبدو لي هذا المكان ذا طابع عسكري ..  
كأنى بهذا الحاسوب خاص بصبي يهوى الديناصورات .. »

قلت لها في ضيق :

- « صدقيني أنا لا أهتم كثيراً سوى بالحصول على الجهاز

الكريه .. في المرة المقبلة يجب التأكد من أنه مخفى  
بغاية .. ربما لو ابتلغته لكان الأمر أفضل .. »

قالت وهي تجوب الغرفة جينة وذهاباً :

- « لو تركنا الأمر لك لانتهدت كل احتمالات هذا الجهاز  
خلال ربع ساعة .. ولن نعرف شيئاً أبداً .. »

- « أنا لا أبلئ كثيراً .. لاحظي أننا نتعلم عن عوالم أخرى ،  
لكننا لن نعود أبداً للعالم الذي تكون فيه هذه المعلومات ذات  
قيمة .. هل تفهمين ما أقول ؟ لفظة ( عجيب ) و ( غريب )  
لا معنى لها إلا في أرضي أنا .. أما هنا فلا قيمة لرأيك .. »  
لم تكن تسمع ما أقول .. كانت تنظر إلى النافذة ..

ثم اتجهت لها ورفعت الزجاج .. كانت هناك شبكة دقيقة  
مخصصة لإبعاد البعوض ، لكن لا توجد حماية أخرى من  
أى نوع .. ومن الخارج كان الظلام وبعض مصابيح قصية  
ونسمة هواء حانية رقيقة ..

- « إنهم حمقى .. ما رأيك ؟ »

- « ومن أدراك أن الخارج أفضل ؟ »

- « لا أحتاج إلى حكمة للعالم كي أختار الفرار من أى مكان

مغلق يقف على بابه حارس .. مثل عن هذا أية قطعة  
أو ذهابه تحترم نفسها .. أي مكان هو أفضل من المكان  
المغلق الذي يقف عليه حارس .. »

- « والجهاز ؟ »

- « لن نستطيع استرداده لو حملونا إلى (لوس أنجلوس) ..  
نق بهذا .. »

ثم بحثت قليلاً حتى وجدت فتاحة ورق على المكتب .  
غرسها في السلك فبدأ ينهار ..

تبا ! لا بد أن قرحتى عادت تنشط من جديد ..

تدريجياً اتسعت الثغرة أكثر فأكثر .. وهكذا نظرت لى  
باسمة ، ثم حشرت جسدها في الفتحة .. نسيت طبعاً أن  
أقول إننا في الطابق الأرضي .

لم يبد لى هذا مريحاً .. ليس الأمر بهذه البساطة ..  
لا يجب أن يكون بهذه البساطة ..

على كل حال انتهى ما كان يربطني بهذه الحجرة ،  
فحشرت نفسي عبر الفتحة .. لا يكلفك هذا أكثر من بضعة  
تمزقات في الكفين ، لكنك تعبر في النهاية ..

أخيراً نقف في الخارج ..

الرمال والبرد والظلام .. نحن في الصحراء ليلاً .. هذا  
واضح ..

لا يوجد حراس .. هذا واضح .. هناك كشافات من بعيد ،  
لكنها كشافات محايدة ودود لا تبحث بل تنتظر ..

مشينا في الظلام عاجزين عن معرفة وجهتنا بالضبط ..  
لا فارق عندنا إن سمعنا (قف ! ) أم لم نسمعها .. المشكلة  
الوحيدة هي أن نسمع صوت الطلقات .. لكن لا يبدو أن  
هناك طلقات حتى الآن ..

كان هناك هدير محرك ، والهدير كان آتياً من سيارة تقف  
هناك على اليسار .. سيارة عسكرية هي .. شاحنة عليها  
علامة ESF اللعينة المعتادة ، وكانت تلوث الهواء بلاكلكل ..  
هناك جندي يقف على بعد يثرثر مع صديقه ويبدو أنه  
يمزح .. لكلمات على الكتفين وسباب إنجليزي فقط ..

وبالطبع خطرت لنا نفس الفكرة معاً ..  
اتجهنا إلى مؤخرة العربات .. وثبت إلى ظهرها ، ومددت  
يدي إلى (سلمي) أساعدها على الوثب ..  
كانت هناك أغطية لعنها قماش خيام .. لا أعرف .. إن  
الظلام يجعلني لا أرى يدي كما لاحظتم ..



المهم أننا تدثرنا بهذه الأغطية ورقدنا على بطنينا ..  
وهكذا صرنا في معزل عن الأبصار .. محرك يهدر .. معنى  
هذا أن الرجل سيرحل ، ولو عاد ليقف المحرك وينام لقتلى  
الغيظ ..

فجأة سمعت ( سلمى ) تهمس فى أذنى :

- « هناك أشياء صلبة تحت قدمى .. هل تشعر بها ؟ »

- « لا .. لا أعقد .. »

مدت يدها لتحسس وهى تغغم :

- « صبراً .. سارو .. يبدو لى أن ... »

ثم صرخت صرخة أنثوية هستيرية متقنة جداً :

- « ( سالم ) !! هذه السيارة محمّلة بعظام بشرية !! »

\*\*\*

## ٤ - الصيادون ..

مددت يدى تحت الغطاء ورحت لتحسس ..

حقاً هناك عظام . لكن من قال إنها بشرية ؟ كل العظام  
تشابه وإلا ما كان تمييز العظام المفتة معضلة معروفة فى  
الطب الشرعى .. هذا بالطبع ما لم تجد جمجمة واضحة  
تنهى التساؤل .

قلت لها همساً :

- « خفضى صوتك يا بلهاء .. هناك عظام لكن من قال  
إن ؟ »

- « أنا أعرف هذا .. »

حسن .. هاتحن أولاء نعود إلى الحس الأنثوى .. النقطة  
التي لانجرو معها نحن الرجال على الكلام ويخرسنا بها ..  
من شفافات نقيات الروح ونحن ماديون مغلقو الروح  
كالحجارة .. ليكن . لكن هذا لا يغير من خطتنا شيئاً ..  
سنبقى هنا لأن مغادرة السيارة قد يكون أخطر من ركوبها ..

الحق أن هذا القرار كان صعباً لأنها دخلت في حالة هستيرية وراحت ترتجف وتتشنج ..

هنا تعالى صوت هدير المحرك .. وكان يوحى بالحركة هذه المرة ..

إننا نطلق ..

هكذا توارى صوت نشيجها ورحنا نفكر صامتين ، بينما رأسنا يرتفعان ويهويان ..

لحظات توقف وكلام ثم تحرك .. واضح أن هناك نقاط حراسة يقدم عندها السائق أوراقه .. أرجو ألا تكون هذه النقاط تفتش الحمولة ..

أخيراً يبدو أن السيارة تتطلق فعلاً ..

أزحت الغطاء قليلاً فرأيت الصحراء المظلمة .. النجوم جلية محددة كما لم أرها قط .. ثقبوب صنعت بدقة في الغطاء الأسود الذي يغلف الكون .. ومن بعيد وحوش لا يمكن أن تعتقد أنها جبال ما لم تلمسها ..

ومن أمامنا لم يكن يشق الظلام إلا ضوء السيارة الخافت .  
كله عصا سيننا (موسى) تشق أمواج البحر الأحمر .. طريق يولد في كل لحظة ويختفى في اللحظة ذاتها ليولد مزيد منه .

الأغرب هنا أنني أرى مشهداً على كوكب آخر .. مجرة أخرى ! لا أعرف كيف أصف هذا .. لا أعرف كيف أصدقه .. لكنه بالتأكيد حقيقي ..

ارتجفت رهبة . تماكنت نفسي .. ثم ألصقت وجهي بوجه (سلمى) وقلت بصوت عال هذه المرة :

« أعتقد أن هذه العظام آدمية بالفعل و... »

« قلت لك هاذا!!!!!! »

وبدأت في مزيد من الصراخ ، فوضعت يدي على فمها لتخرس قليلاً :

« لم أطلب منك استئناف الهستيريا .. دعيني أكمل كلامي مادامت هذه العظام آدمية وهذا مصكر حربي ، فمن الواضح أن الأمر يتعلق بجريمة حرب ما .. هذه العظام تخص ضحايا المصكر ! »

« وماذا تقترح ؟ »

« ثمة احتمال لا بأس به في أن يكون هدف هذه الرحلة التخلص من هذه العظام - بقايا مذبحه ما - في الصحراء بعيداً عن العيون ، وهذا يضع أمامنا احتمالاً لا بأس به أن تكون



الصحراء نهاية الرحلة وبعدها يعود الرجل إلى المصكر ..  
أى أننا لسنا ذاهبين إلى أى مكان .. إن هى إلا رحلة فى  
هواء الليل بعدها نعود حيث كنا .. »

بدأت تستجمع ذكاءها نوعاً ، وقالت :

- « لا أرى هذا .. لن يستطيع السائق وحده إفراغ العربية ..  
لا بد من أيد عاملة معه .. »

- « ومعنى هذا ؟ » /

- « معناه أنه بالفعل ذاهب إلى مكان ما .. قاعدة أو محطة  
أو مدينة .. »

وهكذا لبثنا راكدين نراقب الصحراء .. الصحراء الصامتة  
العجوز التى لا تعبأ بشيء .. لقد رأت الكثير ولم تعد تهتم  
بسيارة عابرة ..

فقط أرتجف لفكرة أن هناك فى الظلام تتحرك ألف حياة  
وحياة .. ألف حياة تنتهى بين أتياب ألف حياة تحاول  
الاستمرار . ترقد بين العظام تحت غطاء من النجوم فى  
صحراء مجهولة قاصدة وجهة لا تعرفها .. كل هذا على  
مجرة لم تسمع عنها قط لكنها تشبه عالمنا سطحيًا .

وفكرت فى منظر السيارة وهى تعبر المدق الصحراوى

فى هذه الساعة .. مسكينة هى الأشباح والغيلان فى  
الفيافي ! لا بد أنها تصاب بهلع كبير حين ترى هذا المشهد  
المخيف يقطع خلوتها ..

لا بد أننى نمت .. من اليقين أننى لم أغض عيني ثانية  
واحدة ، لكن كيف تفسر أن وعي غاب عن الكون  
للحظات ، بعدها شعرت بـ ( سلمى ) تهز كتفى ..

- « يبدو أننا ندنو من شيء .. »

رفعت رأسى ، فوجدت بوابة عملاقة تدنو منا ببطء ..  
بوابة تحرس ما بدا لي كمدينة صحراوية كاملة .. رقعة  
تستحم فى أضواء باهرة .. وثمة مبان حقيقية تتناثر هنا  
وهناك ..

قالت لي :

- « هل ترى أن نشب الآن ؟ »

فكرت حيناً ثم هزرت رأسى أن نعم .. ليس من مصلحتنا  
أن نجتاز هذه الأسوار .. لانعرف ما يوجد بالداخل ، ثم إن  
الاحتمال الأعم هو أن يأتى عمال ليفرغوا الشاحنة .. هذا  
هو ما توقعته ..

لا أعرف ما يدور خلف هذه الأسوار .. هل هذا مدفن  
علاق لضحايا المصكر السابق ؟ لن أندشش لشيء حتى  
ولو اتضح أن هذه ( لوس أنجليس ) نفسها ..

كانت سرعة السيارة الآن أقرب إلى التوقف منها إلى  
السير .. نهضنا ثم وثبنا ..

وبعد قليل كنا على الرمال الباردة المبللة بالندى ..

هكذا يمكن إلى حد ما القول إننا عدنا إلى لحظة  
البداية .. فقط ازددنا علماً - أو حيرة - وفقدنا الجهاز ..

خلف أحد الكثبان القريبة رقدنا منبطحين ورحنا نراقب  
المشهد الذي يدور من بعيد البوابة تفتح والسيارة تتقدم  
بهبطء إلى الداخل البوابة تغلق . الأضواء للصامته  
لا تثرثر بالكثير ..

قلت لـ ( سلمى ) :

- « تعالى نحاول ترتيب ما عرفناه .. أولاً هذا عالم لا توجد  
فيه أمريكا لكن يوجد فيه أمريكيون .. ولا أعرف كيف .. »

قالت وهي تفكر في عمق :

- « للديناصورات أهمية خاصة في هذا العالم .. لا تنس  
إننا في أرض العظايا ويعلم الله ما معنى هذا .. »

أضفت لنا :

- « هؤلاء القوم وحدة عسكرية ما .. ربما طبية كذلك ..  
والأمر على الأرجح يتعلق بضحايا مذبحه يتم للتخلص منهم .. »  
ثم نظرت لها في غباء وفردت كفى :

- « جميل .. لكن ما معنى هذا ؟ »

- « لا معنى له .. ثمة قطع كثيرة تحتاج إلى قطعة تربط  
بينها كما يحدث مع ألغاز الأطفال Jigsaw . وهذه القطعة  
لا بد أن تكون طرفاً آخر لا نعرفه .. »

- « هل تعرفين ؟ أعتقد الآن أنه كان من الخطأ أن نثب  
قيل دخول المدينة .. لو كانت هناك إجابات فهي في  
الداخل .. »

ونظرت إلى المدينة الصحراوية الملتفة بالأوار ، ومن  
بعيد كثبان الرمال

شعرت بقشعريرة تزحف على عمودي الفقري وغرقت  
في تفكير عميق .

فجأة حدث الشيء الذي لا تتوقعه والذي يغير كل شيء  
بشكل غير معبوق





صاح صاح من عل :

« من انتما ؟ هل عرييان ؟ »

« نعم .. ونقسم على هذا .. »

فليس الوقت مناسباً لأخذ قياسات الجمجمة وعينات الحمض النووي .. آخر وقت ومكان يصلح للدراسات الأنثروبولوجية هو في ميدان رمالية رصاص .

« إذن تعالوا معنا بسرعة ! إن هذه المنطقة ستتحول إلى محرقة حالاً .. »

وثبنا من مكاننا ورحنا نتسلق بينما قلوبنا في حلقينا ..

أخيراً صرنا وسط هولاء ، ولم يكن الوقت مناسباً لتبين وجوههم لو إجراء تعارف مناسب للصداقة المهنئين .. فقط راحت أيد قوية تقودنا كما يفعلون بالدلاء في الحرائق .. يد تلو يد تلو يد ، حتى صرنا عند مدخل كهف في سفح تل من التلال .

« ادخلوا بسرعة !! »

ولم أدخل بالسرعة الكافية . استغرقت وقتاً يكفى لأن أرى . أرى سيلاً من القذائف النارية كأنها النيازك ينطلق من المدينة للصحروية قاصداً المكان الذي كنا فيه .. هذه القذائف

غريبة جداً .. إنها لا تسقط كما تسقط القنبلة العادية .. بل هي تنتشر أولاً كأنما هي مليئة بسائل ناري ، ثم تشتعل كل البقعة بلهب أخضر عجيب .. يلي هذا انفجار يذكرك بالبراكين التي تراها في السينما .

كان هذا كافياً كي أدخل ..

وفي اللحظة التالية انغلقت فتحة الكهف وصرنا بالداخل ..

\*\*\*





## ٥- أبو العتاهية وآخرون ..

لم يكن المشهد عبارة عن مدينة داخل الجبل كما توقعنا ..

كان كهفًا بالفعل .. لا يميزه شيء إلا عشرات المشاعل ، وكان هؤلاء الرجال متناثرين فيه .. وكانوا ...

فجأة ارتج المكان لأن قبلة على ما هو واضح ارتطمت بالكهف من الخارج ..

سقطت على الأرض .. وسقطت (سلمى) .. لكن بدا أن قوانين الجاذبية لا تؤثر في هؤلاء ..

قلت وأنا أنهض :

- « سيهدمون هذا المكان على رؤوسنا .. »

قال أحدهم وهو يجلس على الأرض :

- « لا .. الجبل أصعب مما تتوقع .. ثم إنهم لا يملكون أدنى فكرة عن كوننا بالداخل .. هم يتوقعون أننا متوارون

في مكان ما بالخارج .. هكذا نتعامل معهم .. كل جبل هنا غرفة عمليات نخرج منها ونفعل ما نريد ثم نعود للتواري فيها .. »

وقال آخر :

- « وفي كل مرة يتساعلون : أين ذاب هؤلاء ؟ لكن برغم كل شيء تظل الفتحة واضحة لمن يدقق البحث .. لا بد من واحد منا يأتي فيما بعد ليسدها بعناية من الخارج .. »

برغم كل شيء فانا سعيد بكوني أسمع العربية .. عربية لا أنسى أبدا أنها عربية مجرة أخرى ، لكن هذا لا يمنع شعور الألفة الذي شعرت به ..

نسيت أن أصفهم لكم .. كانوا مجموعة من الثوار .. كيف عرفت هذا ؟ لأنني عبقرى طبعا .. كل منهم يحمل بندقية آلية وقد لف حزامين من الطلقات على كتفيه على شكل X على طريقة الأخ (زاباتا Zapata) ، وعلى وجهه ملامح العيش الخشن .. نقون غير حليقة .. قسعات سمراء قاسية .. ثياب هي خليط من عدة أجناس معا .. هناك كوفية منقطة أو اثنتان ..

ومد اثنان ساعدين قويين ، وتصافحا ثم تعانقا وتبادلا  
القبلات على الخدين :

- « نجحت العملية ! »

- « حمداً لله !! »

لا يحتاج الأمر إلى مترجم كي يعرف أن هؤلاء القوم هم  
الذين دبروا الانفجار داخل تلك المدينة الصحراوية ..

الآن جاء وقت السؤال المهم .. السؤال المهم الذى وجهوه  
لنا :

- « من أين جئتما ؟ »

قالت ( سلمى ) وهى تنفض الرمال عن شعرها :

- « من ذلك المصكر ذلك الـ ESE ركبنا فى مؤخرة  
شاحنة للفرار ووئبنا قبل أن تدخل المدينة .. »

- « أفتما سعيدا الحظ .. فررتما فى الوقت المناسب بالضبط .  
لقد كانت هذه الشاحنة ملفمة وقد انتظرنا هنا حتى مرت  
من البوابة ثم ... هوب !! »

شعرت بركبتى تنهاويان من تحتى . إذن كانت الشاحنة  
تحوى أشياء أخرى غير العظام .. أشياء لا تقل هولاً ..

وقال آخر :

- « هل رأيتما ما كانت الشاحنة تحمله ؟ »

ابتلعت ريقى ولم أرد :

- « حمن .. لقد دفنا تلك العظام فى الصحراء مع جنود  
عديدين منهم .. »

قالت ( سلمى ) :

- « لا أدعى أنى أفهم شيئاً فى حروب العصافيات  
ولا الاستراتيجية .. لكن ما جدوى إطلاق البنادق الآلية  
إذن ؟ لقد حسبنا أنكم ستهاجمون أو تحمون ظهر زميل لكم  
بالداخل .. »

ضحك الرجل الذى بدأ الكلام طويلاً وقال :

- « هذا توقيعا !! حتى لا يعتقدوا أن ما حدث كان بفعل  
حادث .. نقول لهم إننا الفاعلون .. »

ثم صافحنى بيد تشبه جرافة البلدوزر لو أن هذه كانت  
شديدة الخشونة ، وقال :

- « أنا ( أبو العتاهية ) .. وأنت ؟ »



بدالى الاسم غريباً .. هو على الأرجح اسم حركى ..  
قلت له :

- « أنا ( سالم ) .. هذه زوجتى ( سلمى ) .. »

قالت ( سلمى ) فى مودة :

- « مساؤكم حبيب .. »

تلك التحية المستعملة فى عالمهم ، والتي ما زلت أشعر  
بأنها ذات طابع سوقى ، بينما تصر هى على أن ( مساء  
الخير ) أكثر سوقية ..

سأل الرجل :

- « ومن أين جئتما ؟ »

آه ! سافسد كل شيء إذن .. لكنه قاطضى قبل أن ارد  
ملوحاً بيده :

- « لا عليك .. كلنا لانعرف من أين جئنا . لكننا هنا .. »

قالت ( سلمى ) وهى التى لم تعتد أن تحبس أسنلتها  
كثيراً :

- « لا أزعم أن هذا يضايقتى ، لكن ما الذى يدعوكم للثقة  
بمن ترونه لأول مرة منذ ربع ساعة ؟ »

- « لهجتك .. هذه اللهجة لا يتكلمها إلا عربى مثلنا ..  
ولو تصنعها أحدهم لفضح نفسه .. كما أنه لا يوجد  
حواسيس بيننا .. هؤلاء القوم لا يستخدمون الحواسيس .. »

نظرت إلى الكهف ، فوجدته ينتهى عند هذا الحد ..  
لا يوجد امتداد .. هذا مكان جيد للاختباء لكن أين حياتهم  
ذاتها ؟ أين قراهم ؟ أين واحاتهم ؟ أين نحن بالضبط ؟

لسبب ما عرفت أن على ألا أسأل كثيراً ، وقد خمنت  
( سلمى ) الشيء ذاته .. هم اعتبرونا منهم بشكل ما ،  
واعتبروها بديهية .. لو بدأنا فى الأسئلة سيعرفون على  
الفور أننا متسلان .. ربما جاسوسان .. ولتكونن غضبتهم  
مرعبة ..

من الأفضل أن نستمر فى أداء الدور الذى برعنا فيه ..  
لانتكلم على الإطلاق ونجيب عن الأسئلة بأسئلة ..

قال أحد الرجال :

- « أعتقد أنه من الأفضل أن نتفرق .. »

ثم أشار لنا :

- « أعتقد أن ( جمشيد بن عباس ) يجب أن يراها .. »

دنت منى (سلمى) وهمست فى شيء من التوتر :

« ما هذه الأسماء الغريبة ؟ »

« ليست غريبة . إنها أسماء من أعلام للعرب ..  
( جمشيد ) عالم من علماء الجبر .. »

قالت فى غيظ هامس :

« يا للعبقريّة ! إن هذه الأسماء موجودة فى كوكبى  
كذلك . بل هى التى حددت تاريخ الكوكب كله ، لكن ألا ترى  
من الغريب أن تتخذ هذه كالأسماء كوردية لمجموعة من  
الثوار ؟ »

تذكرت أن وضع العرب فى عالم ( سلمى ) يخطف  
الأنفاس .. إنهم قوة عسكرية واقتصادية مرعبة ..  
( ا . ع . م ) أو ( أمة عربية متحدة ) .. وبالتأكيد هناك من  
العلماء العرب من لم نسمع نحن عنهم فى أرضنا . لكن  
اعتراضها وجيه بحق ..

ما معنى هذا ؟

هنا وجدنا الرجال يشيرون لنا كى نلحق بهم .. إلى  
الجهة الأخرى من الكهف ..

فتحة كالتى دخلنا منها .. يزاح القطاء فترى الصحراء  
من جديد .. هذه المرة وقد بدأت تستحم بلون الفجر  
الوردى . يخرج أول الرجال جسده من الفتحة ويتلصص  
حوله ، ثم يزحف إلى الخارج وتتبعه نحن .

فى الخارج كنا على الجانب الآخر من التل ، لكن الحقيقة  
هى أننا كنا على ارتفاع كبير .. لم أدرك هذا إلا حين  
ارتقيت التل أكثر وألقيت نظرة .

من الغريب أن المدينة الصحراوية تحولت إلى بقعة  
صغيرة عند قدمى ، وبدأ لى هذا غريباً .. إن الكهف لم يبد  
لى بهذا الاتساع قط ..

خرجنا أربعة من الكهف كما ترى ، فعكف آخرنا على  
مد الفتحة .. أولاً يضع قطعة من الورق المقوى ليسد بها  
الفتحة ، ثم يهيل عليها بعض الرمال المبتلة المعجونة  
بالماء من قارورة يحملها ، ثم يضع بعض نباتات الصبار ..  
حين تجف هذه مع الشمس سوف يكون من العسير تمييزها  
اللعين مدربة تعرف ما تبحث عنه ..

لا أعرف كم من الوقت مشينا لكن الشمس كانت قد بدأت  
تغلى السماء ..



كنت أفكر .. ماذا لو ظهرت طائرة عمودية جديدة ؟ لقد  
مررنا بموقف مماثل ، ووجدناه شيئاً بما يكفي .. ماذا يضمن  
لهم أمن هذه المسيرة فوق الرمال مكشوفين كنمل على  
مرآة ؟

قالت ( سلمى ) وقد عرفت ما أفكر فيه :

- « يبدو أنهم يعرفون أماكن ومواعيد تلكم الدوريات .. »

وتوقفت عن الكلام ، لأن أحد الرجال كان يفتح فجوة من  
الرمال المزيفة والصبار في كهف ..

هؤلاء اللقوم يجدون طريقهم ببراعة حقاً ، لكن أية حياة هذه ؟

\*\*\*

والآن دعني أقدم لك الأخ ( جمشيد بن عباس ) ..

أولاً هو مسن جداً كما ينبغي أن يكون .. لحية طويلة  
بيضاء على صدره ، وغطاء رأس عربي ( شماغ ) يغطي به  
رأسه من دون عقال .. وجه مسن مفعم بالتجاعيد .. ربما  
يذكرك بلحاء شجرة عجوز في مدرستك القديمة .. لكن  
تحت هذا الرأس الواهن هناك جسد قوى لم تنبل عضلاته  
بعد .. على الأقل هو أقوى من جسدي أنا .. ولدرجة ما كان

منظره يذكرني بصورة ( أنتوني كوين ) في دور ( عمر  
المختار ) ..

جواره تجد ( الفرابي ) و ( أبو الأسود الدؤلي ) و ( الخليل  
ابن أحمد الفراهيدي ) .. هكذا أسماؤهم التي عرفتُها فيما  
بعد مما يدل على أن ملاحظتنا كانت صائبة .. لن تجد كل  
هذه المجموعة من أعلام العرب في مكان واحد مهما  
حاولت .. إلا في الموسوعات طبعا ..

كانوا مدججين بالسلاح يفرشون الأرض .. وكانت هناك  
أقداح قهوة و ( دلة ) .. بالإضافة إلى مجموعة أخرى من  
الرجال .. وكان سقف الكهف مجوفا بطريقة تجعله أقرب  
إلى مدخنة .. ويبدو أن هناك نظاماً ما للتخلص من الدخان  
وإدخال الهواء .. بدائي لكنه فعال ..

يبدو أن هذا هو مقر لقيدة الرئيس .. كل شيء يوحي بهذا ..

نظر لنا ( جمشيد ) من تحت حاجبيه الكثين ، وقال :

- « السلام عليكما .. من أين جئتما ؟ »

كان له صوت عميق مليء بالحكمة .. صوت لا يجب أن  
تمزح معه .. لا تستطيع المزاح معه .. كانت ليلة منهكة ولم  
يفض لنا جفن منذ ساعات ، لذا قلت كلمات غيبة على غرار :

- « لمسا من هنا .. نحن من هناك .. تسألني لماذا جئنا من هناك أقول لأن هنا أفضل من هناك .. »

هراء كثير من هذا الطراز ، وكان هو ينصت ويهز رأسه كأنما يصدق كل حرف لكن الشك في عينيه العجوزين صار عادة

قال أحد مرافقينا :

- « إنهما فرا من مصكر الـ ESF ركبا شاحنة ترجلا منها قبل المدينة .. »

- « إذن هما مجدودا الحظ .. لو بقيا بضع دقائق لانفجرا .. »

ثم ناول كلاً منا قدها وأمر بمن يصب لنا القهوة العربية في الأقداح .. فلما فرغت من قدهي عاد الرجل يصب فيه المزيد .. قالت لي (سلمى) همساً :

- « لو اكتفيت هز القدح حتى لا يعيد ملأه لك .. »

ما هذا المكان ؟ أسماء عربية وتقليد عربية تمارس بدقة أمينة ثمة خاطر يسيطر على .. هؤلاء القوم يجاهدون لاهئين للاحتفاظ بهويتهم .. إن هذه الأسماء هي صورة رمزية لمن ينشأ أطفاله في تراب أرضه كي لا ينتزع منها .

ظل الرجل ينظر لنا بعض الوقت ، ثم قال :

- « هل ترغبان في المشاركة ؟ »

- « بالتأكيد .. »

دون أن ندري ما هذا الذي نشارك فيه .. لكنني احتفظت بسياسة الموافقة على أي شيء كي لا أسأل ..

قال الرجل :

- « إنهما متشابهان كتوعمين .. »

فعلاً تعالت أصوات الرجال تؤكد أن نعم .. هذا غريب .. حقاً ..

- « وملاحظتهما تختلف عنا .. بشيء من المعالجة يمكن أن يبدأ منهم .. هل أنتما أخوان ؟ »

قلت في حرج :

- « زوجان .. »

- « هذا غريب .. لا يوجد ما يدعو لتشابه الأزواج إلا في ظروف نادرة .. عندما يكون تفاهمهما مطلقاً .. »

هنا سألتني أحدهم وهو من يدعونه (سلمان) :

- « هل تتكلم لغة عربية ؟ »



قلت في ارتباك :

- « نعم .. الإنجليزية .. بالفعل .. »

ابتسم الوجه العجوز وقال :

- « هذا يرجح الكفة أكثر .. لا أحد منا يجيد لغة غربية ..  
هذه نقطة مهمة .. ثم إن جسديهما من القياس ذاته .. »

ثم أشار لنا إلى بعض الأغطية على الأرض .. وقال  
بنهجة أمره :

- « أنتما منهكان .. الآن تتامان وعند الاستيقاظ تعرفان  
ما يجب عمله .. »

بالطبع لم تكن بنا من حاجة إلى هذا الأمر .. ولم نغرق  
في التفكير طويلاً لأننا حين اتخذنا وضعاً أفقياً تصرفنا كذلك  
الألغام النازية : التي لم تكن تنفجر إلا حين تميل نوعاً إلى  
المستوى الأفقى .. وانفجارنا كان غطيظاً وخليطاً من الأحلام ..

فقط أذكر أن آخر كلمة قالتها العزيزة (سلمى) :

- « هل لاحظت هذا المدعو (سلمان) ؟ »

قلت في تعب :

- « م م م م ؟ »

- « يبدو لي أن هذا هو اسمه الحقيقي لا الحركي .. اسمه  
(سلمان) .. ألا ترى شيئاً غريباً ؟ »

- « م م م م .. وما في ... م م م .. ذلك ؟ »

- « إنه يتنعم ابتساماً بزاوية فمه اليسرى !! ابتساماً  
تبدو لي مألوفاً .. »

\*\*\*



## ٦- التنكر ..

حين صبحونا عند العصر ، قدموا لنا وجبة تتكون من الفول المهروس .. وكان هناك الكثير من التمر .. معنى هذا أن لهؤلاء القوم مكاناً آخر غير هذا .. ربما واحة قريبة ..

لم يكن المكان مريحاً .. ربما هو خلق كذلك ، يذكرك كثيراً بشبكة المجارى التى كنا نعيش فيها فى أرض المغول ، وإن كانت الكهوف أنظف وأعطر رائحة من المجارى طبعاً ..

كنت فى حاجة ماسة إلى شخص يجلس معنا ونبدأ فى سؤاله .. من البداية .. قل لنا يا أخى : ما معنى كذا وكذا ؟ لماذا يبدو كذا كذا ؟ ما اسم اللعبة وما قواعدها ؟

لكننا لانجروا أبداً . فى هذا العالم وسط هذه الأحداث يسهل اعتبارك مجنوناً - لو كنت سعيد الحظ - أو جاسوساً ..

\*\*\*

عند الغروب ظهر ( جمشيد بن عباس ) .. أين كان ؟ لا أدري لكننا لم نره فى الكهف لدى استيقاظنا ..

كانت ثيابه قد اختلفت قليلاً وإن كان مدججاً بالسلاح ، وقد التف حوله عدد من الرجال ، سأعرف أسماءهم فيما بعد وإن كانوا يحملون أسماء مثل ( امرؤ القيس ) و ( جابر بن حيان ) ..

ابتسم لنا وبصعوبة يمكنك أن تعرف أن هذا الأخدود الذى ظهر فى ملامحه ابتسامة .. وقال :

« نعمتاً جيداً ؟ ليكن .. هل تحبان ( فيروز ) ؟ »

طبعاً كان هذا آخر سؤال يمكن أن نتخلله فى التاريخ .. بالصدفة كلانا يعشق ( فيروز ) لكن ما أهمية هذا السؤال الآن وهنا ؟

مد أحد الرجال يده إلى جهاز عتيق وضغط على زر ، وعلى الفور تصاعد الصوت الرخيم يحكى عن ( شادى ) الذى ( ركض يتفرج ) وهو مازال ( بعد صغير عم يلعب عائل ) ..

كان الجهاز فى أسوأ حال ، حتى لم يكن يصلح إلا كمبراة ، كما أن الحجارة الجافة المثبتة إليه تم غليها عدة مرات .. دعك من آثار العض التى تدل على محاولة إطالة عمر تكررت كثيراً ..

قال ( أبو العتاهية ) وقد لاحظ دهشتنا :

- « نعم .. لا توجد حجارة جافة في أي مكان .. لكننا سرقتنا  
عدداً منها منهم منذ سنين .. »

قال ( جمشيد ) وهو ينظف سلاحه :

- « هناك جولة اليوم .. حوالى مائتين قادمون .. نعتقد  
أنكم قادران على الاندماج بينهم .. نريد معرفة كل شيء  
عن العرض .. ماذا ستريان ؟ »

تبادلت و ( سلمى ) النظرات ..

الحقيقة أننا لا نفهم شيئاً على الإطلاق ..

هنا جاء أحد الرجال يحمل ثياباً نظيفة مطوية بعناية ..  
هناك شعر مستعار أشقر وأشياء أخرى لا أعرف ما هي ..

قال ( جمشيد ) دون أن ينظر لنا :

- « سندخل الآن إلى إحدى الفتحاح الجانبية لتستبدلا هذه  
الثياب بما تلبسان .. ثمة لمسات نضيفها نحن .. لكن لا تنسوا  
أننا فقدنا الكثيرين من رجالنا كي نحصل على هذه الثياب ..  
حافظا عليها .. »

وهكذا دخلنا لنا و ( سلمى ) لحد الشقوق في الكهف ، وعلق

لنا أحدهم مشعلاً كي نرى بعضنا .. كنا في حالة مروعة من  
الغباء لكننا لانجسر على توجيه أسئلة .. ثيابنا واحدة على  
كل حال .. قميص بلون خاكي وسروال ( جينز ) أزرق .. ثم  
حذاءان رياضيان ..

فرغنا من ارتداء هذا كله ، ثم إن ( سلمى ) ثبتت الشعر  
الأشقر المستعار على رأسها ، فكانت النتيجة لا بأس بها ..  
صحيح أن بشرتها خمرية ، لكن طقس الصحراء هذا يجعل  
أية بشرة تحترق ..

ثبتت لنا الجمرة على راسي ، ولم أر نفسي لكنها هزت رأسها  
بمعنى أنه لا بأس بي ..

ثمة أشياء في الجيب .. مددت يدي لأبحث ، فوجدت بطاقة  
بلاستيكية مزودة بدبوس تصلح لتعليقها على الصدر ..  
فهمت الآن لماذا رأى الرجل أنه لا مشكلة .. إن الصورة  
لرجل أشقر ، مع كثير من الظلال ورداءة التصوير تجعل  
تعرف ملامحه مستحيلاً .. فقط كانت البطاقة المغلفة تحمل  
شارة ESF .. لاحظت أن الجنسية تشير إلى أننا ( ولايات  
شرق ) .. لم أفهم معنى هذا ..

فيما بعد عرفت أن أهمية ( ولايات شرق ) هذه أن بوسعنا أن  
نتكلم إنجليزية غير متقنة .. فلا يفتضح أمرنا لأن إنجليزيتنا  
لن تخدع غريباً بالتأكيد ..



وكذا خرجنا إلى القوم فأبدوا الكثير من الاستحسان ..

أضافوا بعض اللمسات مثل كاميرا حول كتفى .. وحقيقية  
ظهر لـ (سلمى) .. وزجاجتى ماء لكل منا .. ثم أضافوا  
أسوأ جزء فى الموضوع .. عدسات ملتصقة زرقاء اللون ..  
لقد تبدل منظرننا تمامًا ، وأستبعد أن تتعرفنى (سلمى) لو لم  
ترنى أنتكر أعلامها ..

هؤلاء القوم مستعدون تمامًا .. لكن يمكن القول إن هذه  
الأشياء كلها مسروقة من غربيين حقيقيين .. ربما ميتين  
كذلك .. هذا مفهوم .. وإن كنت لا أحب كثيرًا أن أسأل  
أسئلة بصدد مصدر العدسات الملتصقة !

كنت قد كنت - بعقرتى المعهودة - بعض الاستنتاجات ..  
هم يريدون منا أن نتذكر كغربيين .. لماذا ؟ طبعًا لنندس ..  
نندس فى ماذا ؟ فى الجولة التى بها نحو مائتين ..  
حقًا إن الترتيب المنطقى يقود إلى الحل دائمًا !

قال (جمشيد) :

- « لا بأس .. لاحظنا كل شيء .. (أبو العتاهية)  
سيقودكما إلى هناك .. »

ثم اتصرف إلى أحد رجاله ، وبدأ كأنما نسى الموضوع  
تمامًا وفتح موضوعًا آخر ..

\*\*\*

تحت ستار الظلام نتسلل فى الصحراء ماشين خلف  
(أبو العتاهية) .. النجوم تعطى ضوءًا لا بأس به أبدًا ..  
تشعرك بالآلة برغم أنك لا تميز نجمًا واحدًا مألوفًا لك ..  
لا بد أن (وعاء الدب الأكبر) هنا يدعى (طشت غسيل  
التمساح) أو أى شيء مماثل ..

كان هناك ضبع نظر لنا من بعيد ، ثم قرر أنه بائس  
وحيد ففضل الانصراف ..

لا بد أننا مشينا نحو نصف ساعة .. كنا فى الحقيقة ندور  
حول تلك للمدينة للصحراوية الغامضة .. رأسنا يزدحمان  
بالأسئلة لكننا لانجرو ، وعلى كل حال كنا قد قدرنا أن هذه  
الجولة مستشرح لنا كل شيء .. ستلعب دور كتاب التاريخ  
الذى قرأته أنا فى أرض المغول فأعفانا من أسئلة مربكة ..

قال لنا (أبو العتاهية) وهو يتقدمنا :

- « النصيحة المهمة هى : لا تتبلا لاية كلمة عربية .. أنتم  
غربيان فى كل شيء .. ثم إتكما وحيدان تمامًا ولو وقعتما

في أيديهم فلا علاقة لكما بأي شيء .. لن نعرفا كيف  
تجداننا .. »

ثم أشار إلى الكاميرا وقال :

« هذه لا تعمل .. لكنها تطلق ضوءاً .. حاول أن تبدو  
فضولياً .. »

هذا الجزء بالذات لا يحتاج إلى توصيات .. لن يحتاج إلى  
أي جهد منا .. إن الفضول يقتلنا بالفعل ..  
أخيراً رأينا مشهداً عجيباً ..

كان هناك سياج من السلك .. سلك مصلع يذكرك بالذي  
تثبته في دارك لتتقي البعوض .. ومن بعيد - على مسافة  
ثلاثين متراً - كانت هناك طائرة متوسطة الحجم .. لها ذات  
منظر حاملات القوات التي تراها في الصور .. إنها تخص  
الجيش .. جيشاً لا يعلم كنهه إلا الله .. وعلى بعد أكبر كانت  
هناك طائرتا هليكوبتر وطائرة تبدو لي كالمقاتلات ..

كانت الطائرة المضيئة واقفة تهدر كالوحوش ، غارقة في  
الأضواء .. وأدركت أنها وصلت من فورها .. كفت هناك حركة  
غير عادية ، مع عملية تقريب سلم على عجلات من بابها ..

« بالضبط في الموعد .. »

قالها ( أبو العنابية ) وهو يدنو من السور ويثبت أنظاره  
في فجوات السلك ..

ثم نظر لنا وقال :

« حين ينزل الركاب تدخلان .. لا توجد حراسة هنا ،  
ويسهل أن تندمجا وسط الفوج .. الركاب سينتشرون في كل  
مكان ومن المستحيل مراقبتهم .. كما أننا نعرف أنهم  
لا يجرون حصراً لهم .. الجولة تنتهي غداً في نفس الوقت ..  
سأكون هنا لأساعدكما على الرحيل .. »

هتفت ( سلمى ) :

« تتكلم كأنه لا يوجد سلك .. »

ابتسم ومد يده ليرفع جزءاً من السور .. واضح أن  
هؤلاء القوم مزقوا أجزاء من السياج من قبل ، صانعين باباً  
يدخلون منه متى أرادوا .. وحين يعود السلك لمكانه  
ويثبتونه بالخيط يصعب أن تلاحظ أنه ممزق ..

أخيراً بدأ الركاب ينزلون من الطائرة ..

بالفعل سادت الفوضى ، وبدأ كأن الساحة أمامنا تحولت  
إلى نوافذ الدرجة الثالثة قبل مباراة كرة قدم .. هم مائتان  
لكنهم يقومون بما يقوم به ألف من صخب وفوضى ..

وفي هذه اللحظة همس ( أبو العتاهية ) :

« هيا .. لا تنتظرا للوراء .. كونا طبيعيين .. »

يبدو أن للربع دوراً مهماً في اتخاذ القرارات الحاسمة ..  
لا أعرف كيف ولا متى وجدنا أنفسنا بالداخل ، ولا كيف  
اجتازنا المسافة الحرجة بين السور والزحام ، لتتحول من  
( متسللين ) إلى ( ربما كان هذان معنا من البداية ) ..

ولم ننظر إلى الوراء ..

الزحام كله من الغربيين .. والأجمل هنا أن أكثرهم  
يلبسون مثلنا .. هذه ثياب صالحة للرحلات أو لفرض  
( السافاري ) .. وقد ذكرني منظرهم بالسياح الواقفين عندنا  
خارج معبد الكرنك بانتظار الدليل الذي يلوح لهم طالباً أن  
يتبعوه ..

سرعان ما اندمجنا وسط الزحام .. وكانت هناك كلمات  
بالإنجليزية والفرنسية والألمانية .. فتاة تلتقط للصور لصديقتها  
وصديقها .. رجل يجمع بعض الرمال في كيس .. مزاح .. بعض  
العجائز الأثرياء من طراز المومياوات إياه الذين نراهم في  
مصر ، والذين يجمعون المال طيلة حياتهم لينفقوه في رحلة  
العمر .. وبعض السياح الشباب الذين لا ينفقون أكثر من  
ربع دولار يومياً والذين تعرفهم مصر كذلك ..

بعد قليل ظهر رجل يبدو أنه عسكري ، وكان يضع  
( بادج ) صغيراً يقول : ESF وأمسك بمكبر صوت وقال  
بإنجليزية جيدة :

« إن المركز الصحراوي الرئيسي يرحب بكم .. »

وكررها ثلاث مرات إلى أن انتهت الضوضاء وصار  
قلعاً على سماع نفسه ..

« .. ستكون هذه رحلة الأحلام ، وقد خصصنا لكم خياماً  
مكيفة ووجبة عشاء ساخنة .. تبدأ الجولة صباحاً ، إلا إذا  
رغب بعضكم في استكشاف الصحراء ليلاً .. هناك طائرات  
عمودية مخصصة لهذا .. »

ثم دس يده في جيبه وقال :

« هل من أسئلة ؟ »

رفعت إحدى الفتيات يدها وبلهجة أمريكية سألته :

« كيف يتم تمويل المشروع ؟ هل أنتم جهة حكومية ؟ »

قال في ( الألفة ) لا بأس بها وهو يدير عينيه في وجوهنا :

« أكثر تمويلنا من الجامعات .. ومن ESF .. وبعض

لتنفقت يتم تكبيرها برحلات سيلحية باهظة الثمن مثل هذه ! »



تعالى ضحكات عصبية لا مبرر لها .. واضح أنها دعابة قوية فعلاً ..

قال أحد الواقفين ضاحكاً :

- « خمسمائة ( كومون ) عن الفرد .. هذا ليس مبلغاً زهيداً .. »

قال الرجل الذى يبدو أنه عسكري :

- « أنا لا أحدد الأسعار .. لكن ما أعرفه حقاً هو أن كل من زارنا لم يشعر بعد الزيارة بأنه دفع أكثر من اللازم .. والآن هل هناك من يرغبون فى استكشاف الصحراء ؟ »

ارتفعت بعض الأيدي ، فرفعت أنا و ( سلمى ) أيدينا .. كنا فى حاجة إلى الفهم .. وعدم ترك فرص لهذه العملية ..

- « جميل .. هناك خمسون منكم .. سنحاول ترتيب الطائرات اللازمة .. »

\*\*\*

فى المقصف انتظرنا فى طاور طويل حتى جاء دورنا .. كان الطعام الذى حملناه فى صينية هو نوع من اللحم الممهوك أو الممزق .. لا أعرف بالضبط .. مع كوب من الكولا الباردة وبعض البطاطس المحمرة ..

لم أتحمس كثيراً للحم لأكنى لا أعرف نوعه .. ربما هم يأكلون الذئب على العشاء فى هذا الكوكب ، والأدهى أن تكون ذئباً مخنوقة كذلك !! لكن البطاطس كانت جيدة .. وعرفت أن ( سلمى ) أحببتها كذلك ..

ترى كيف يبدو تتكرنا فى الضوء الساطع داخل المقصف ؟ لحسن الحظ أنه لا أحد ينظر إلى الآخر ..

بعد العشاء تجمعتنا حول الطائرات الهليكوبتر ، وقد قسمونا إلى مجموعات ..

بدأت طائرتنا ترتفع .. ترتفع .. دورة حول المدينة التى لم تظهر معالمها بوضوح .. مجرد نقاط لا حصر لها من الأضواء .. ثم تنطلق فى السماء للسلعة التى تملؤها ثقبوب النجوم .. متى قرأت عن الثقبوب فى السماء ، والبرق الذى يحاول أن يرفوها كأنه إبرة خياط ؟ متى كان هذا ؟ فى قصة أطفال ؟ ديوان شعر ؟ من المستحيل أن أتذكر الآن ..

ومن تحتنا بدت الصحراء الغامضة المسربة فى السواد .. كأنها طلسم لا قبل لأحد بفتحه ..

( سلمى ) جوارى .. تدنو منى أكثر وتهمس بالإنجليزية ( على سبيل الاحتياط ) :

- « هل تشعر به ؟ هل تحسه ؟ »

فألمس يدها .. ألثمها وأصمت .. الليل والصحراء والصمت  
 وهدير المحرك .. لا بد أن شيئاً تحرك فيها كما تحرك في ..  
 ليس هذا وقته ، لكن العواطف كالعصلات تبحث عن لحظات  
 تستجمع فيها أنفاسها .. لا يمكن أن تكون الحياة كلها  
 تخطيطاً ومؤامرات ومحاولات للفهم والنجاة بالحياة .. لا بد  
 من لحظة ما يتقارب فيها رأسان يرمقان الليل ..

تقول لي :

« منذ متى لم تقل إنك تحبني ؟ »

في الحقيقة لا أذكر أنني قلتها على الإطلاق - هل تذكر  
 أنت ؟ - لكنني أكذب فأقول :

« منذ راح جهازك هذا يلقينا من حفرة لحفرة .. ومن  
 بركان لبركان .. لا بد من كوكب ما يصلح لالتقاط  
 الأنفاس .. »

« لقد بدأت أعتقد أن عالمي هو أفضل العوالم  
 المحتملة .. »

الطائرة تحلق فوق تلال لا نعرف عددها ، ولانهايتها ..

ثم ...

ظهر وميض ناري من على أحد التلال ...

وشهق البعض وصرخ البعض .. على حين صاح  
 للطيّار :

« تماسكوا ! إن صاروخاً حراريّاً يتجه نحونا !! »

\*\*\*



## ٧- الجولة ..

« يا ساتر يا رب ! »

دوت الصيحة من ( سلمى ) وهى تتكور حول نفسها ..  
لو أصابنا هذا الصاروخ الحرارى فلن نعرف هذا .. طريف أن  
تتحول إلى قتات من اللحم المشوى تقضمه فنزل الصحرَاء ،  
بعد ثانية من كلامك عن الحب والعوالم المحتملة ..

فيما بعد سيكون لى أن أقلق بصدد من سمعوا ( سلمى )  
تصرخ بالعربية .. فيما بعد ..

الطيار يرتفع بحركة عصبية ، ثم يأتى بحركة مناورة  
جعلتنا نرتطم ببعضنا .. والبطاطس المحمرة تصعد إلى  
الخلوق .. لابد أنه يقوم برسم حرف Z الشهير الذى  
يتفادون به الصواريخ الحرارية ..

ثم رأينا وميضاً إلى اليسار ، والتفتنا فرأينا انفجاراً فى  
السماء بضوء المكان ..

« استرخوا يا شباب .. لقد تفادينا !! »

قالها الطيار ، فتصاعدت شهقات الارتياح .. وبكت بعض  
النسوة من فرط الإجهاد العصبى ..

لا أعتقد أن هذا المشهد جزء مبدى من الجولة  
لإمتاعنا .. هو حقيقى .. وأعتقد أن صاحب هذا الصاروخ  
ينتمى لـ ( جمشيد بن عباس ) ورجاله ...

« من ( بتريبيد - ٣ ) إلى الإوزة الأم .. من ( إتريبيد - ٣ )  
إلى الإوزة الأم . صاروخ عند ( لىتا إكس - ١٨ ) .. حول .. »  
كانت هذه من الطيار طبعاً ..

وبعد دقائق ، أشار لنا إلى الأفق فى نغمة انتصار ،  
ورأينا ثلاث مقاتلات قادمة من بعيد ..

هتف الناس واحتشدوا يتزاحمون ليروا ما سيحدث من  
التوافذ .. لم تفعل المقاتلتان على الجانبين شيئاً ، لكن  
الوسطى انفصلت لـ ( تتعامل معهم ) - كما يقولون فى سلاح  
الطيران - والتعامل معهم يعنى أنها ارتفعت قليلاً وفى  
اللحظة ذاتها انطلق منها صاروخ طار ليضرب بالضبط  
النقطة التى هوجمنا منها ..

وهوب ' لا أعرف نوع هذه القنابل العجيبة ، لكنها تشبه  
ما رأيته من قبل . الانتشار على مساحة واسعة .. اللهب



الأخضر .. رأيت مرة نارا تشتعل في بيرومين ، وقد بدا  
المشهد ممثلاً لهذا بالضبط ..

المهم أن الأفق تحول إلى نيران ، على حين حلفت  
المقاتلات مبتعدة ..

وهل الركاب .. وراحوا يلوحون مودعين ..

تبادلت نظرة مع (سلمى) .. على الأرجح لم يحدث شيء  
للمهاجمين ، لأنهم - كما رأينا أمس - أطلقوا صاروخهم  
وتواروا في إحدى الفتحات ..

ليتنا نفهم ما يحدث هنا ..

\*\*\*

- « معذرة .. لكن اسميكما ليسا عندي على الإطلاق .. »  
قالها الرقيب وهو يراجع الأسماء المكتوبة أمامه ..

كان على أن أتمادى في التمثيل أكثر ، فصحت في عصبية :

- « ونحن كنا نحسب أنه لا أخطاء تحدث في جهاز بهذا  
الحجم . والآن قل لي .. هذا أنا أمامك وهذه زوجتي وقد  
دفعنا ثمن هذه الجولة .. لا نتوقع منا أن ننام في  
الصحراء .. »

قال في حرج وحزم عسكري برغم هذا :

- « آسف .. لا أستطيع أن أقدم لكما خيمة .. »

رحت لأضرب كفا بكف ، على حين بدا الاشمزاز على  
(سلمى) من (كل هذا الإهمال) .. في النهاية جاء رجل  
لرفع رتبة فرأى المشهد ، وسمع ما يقال فهتف :

- « (سميث) .. تكن أكثر مرونة .. أعطهما استراحة  
المقصف .. على مسئوليتي .. »

- « ولكن ... »

- « بقيت أربع ساعات على الصباح .. هذا لن يضير  
أحدًا .. »

استسلم (سميث) الأحمق ، على حين قلت أنا في تيجح  
وأنا أصافح الأعلى رتبة :

- « أخيراً هناك شخص ذو عقل في هذه القاعدة ..  
حسبتهم لا يختارون إلا أمثال هذا الـ (سميث) .. »

لم يبد (سميث) سعيداً بكلامي ، ولا ألومه على هذا ..  
إلا أنه اصطحبنا إلى غرفة ضيقة ملحقة بالمقصف .. هناك  
فراش واحد ، وحالة الغرفة توحي بأنها كانت استراحة للبط

أو وشرق الأستبس .. لكنه على الأقل موضع يسمح لك  
بوضع أفقى ..

انغلق الباب علينا فقالت ( سلمى ) فى مرح :

- « أنت ... »

- « حذار ! بالإنجليزية وبصوت خفيض .. »

قالت بالإنجليزية :

- « أنت ممثل بارع حقًا .. من يرك فى غضبك يقسم  
على أنك صاحب حق .. »

- « لدينا مثل يقول ( الحقوهم بالصوت ) ولا أعرف إن  
كان فى أرضكم أنتم أيضًا .. إذا كنت أنت الطرف الخطأ  
الذى لاحق له ، فعليك أن تكون الأعلى صوتًا والأكثر  
صراخًا .. هذا يقتع الناس بعدالة قضيتك ! »

على كل حال .. لقد نعمنا .. وكان نومنا عميقًا بالفعل ..

لولا الطرقات الحازمة على الباب فى الصباح تخبرنا أن  
موعد الإفطار قد حان ..

\*\*\*

فى الصباح بدأت الجولة التى لا نعرف أى شىء عن  
كنها ..

كان المكان ذا طابع عسكرى لا تخطئه العين ، لكن  
الجميع كان يتظاهر بالمودعة واللفظ ..

هذه المرة اقتادونا كالخراف الضالة إلى مبنى عملاق له  
ذات الطابع المميز للمتاحف فى كل مكان .. وفوقه اللافتة  
اللعبينة ESF التى تطاردنا فى كل صوب .. اصطففنا على  
الباب ، ودنا منى رجل مسن يحمل زوجًا من الكاميرات  
وقال لى فى لهفة :

- « فيلم .. هل تعرف من أين أتاع واحدًا ؟ »

ثم رأى البطاقة على صدرى فهتف فى مرح :

- « ولايات شرقى ؟ أنت ابن وطنى إذن !! »

يا للمصيبة !

عاد يسألنى وهو غير عازم على أن يخرس :

- « لطيفة زوجتك .. وإن كانت تشبهك كثيرًا .. لا أقول

هذا بصيغة الذم ! هل أنت من ( وارسو ) ؟ لا بد أنك يهودى

مثلى .. »

ثم قال عبارة ما بلغة لا أستبعد أنها البولندية .. فهزرت  
رأسي وقلت الكلمة التي فتح الله على بها :

- « بوخارست » ..

أعتقد أن هذا أقرب إلى الحكمة .. مادامنا نتكلم عن  
الشرق ، ومادام هو بولنديًا فمن الحكمة أن أدعى  
الرومانية .. هز رأسه في أسى وحياتنا وابتعد ..

على الباب اصطفنا كما قلت لك ، ثم ظهر رجل له ذات  
السمت العسكري ، وهتف :

- « سندخل في مجموعات .. لا داعي لأن أذكركم بأن  
اللمس ممنوع .. »

ثم أضاف :

- « لقد أنفق صندوق الأنواع المنقرضة الكثير على هذا  
المتحف .. »

هنا بدأت أفهم .. ( صندوق الأنواع المنقرضة ) ..  
أو Extinct Species Fund .. من هنا جاءت الـ ESF التي  
نطاردنا في كل مكان .. أعرف هذه المشروعات .. ما يوشك  
على الانقراض مثل دب الكوالا والباندا والنسر الأمريكي

الأصبع ، وما انقرض فعلاً مثل ذئب ( تسمانيا ) الذي لم يكن  
ذئباً ولم يكن من ( تسمانيا ) ..

سمعت ( سلمي ) خواطرى ( لا يوجد خطأ مطبعي هنا )  
فقلت :

.. « أنت مخطئ .. لا تنس أن هذه أرض العظايا .. لا بد  
أن الموضوع يتعلق بالديناصورات .. »

صحيح .. نسيت هذا ..

طبقاً لآبد في المدخل أن نجد ذات الهيكل المعهود لك ( تي  
ركس ) أو ( Tyrannosaurus Rex ) المحبب للأطفال .. لا بد  
من آثار أقدام على الطين الذي تحول إلى حفريات .. لا بد من  
نباتات متكلسة وعظام متحجرة لطائر ( الإصبع المجنح )  
المثير Pterodactyl ..

ووثب قلبي طرباً .. أنا أحب الديناصورات .. من الذي  
لا يحبها ؟

وتقدمنا في تودة إلى الداخل ..

كانت هناك خارطة كبيرة تحتل أهم موقع في المكان ..  
ثم رأينا عينات متكلسة لا تعرف كنهها .. لا توجد هياكل



للدیناصور لكن هناك هياكل عظمية آدمية واقفة وقد حفظت  
فی واجهات عرض ..

ثمة قاعات جانبية فی إحداها جمل كامل محنط ..  
لا أعرف .. هل انقرض الجمل فی هذا الزمن ؟

هناك ثياب عربية معلقة على مشابج .. وأجزاء من  
خيام .. هناك قطع من تماثيل .. وأسلحة آلية صغيرة ..

هناك صور لمطربين نعرفهم .. ما معنى هذا ؟

قال المرشد وهو يتقدم الحشود الذين لا يكفون عن  
التقاط الصور :

« فی الداخل هناك نماذج حية سندخل ولكن بهدوء  
من فضلكم .. إن الزحام قد يكون خطراً .. تذكروا أن هذه  
العينات غالية جداً ونادرة جداً .. »

وفی هدوء مشى إلى ممر جانبي ، فمشينا وراءه ..

بالداخل كانت هناك نوافذ عرض .. وكان بداخلها ..  
أشخاص .. أحياء ..

لنوافذ عملاقة جداً مما يتيح أن يوجد بالداخل بيت صغير ،  
واسرة كاملة مكونة من أب وزوجته وأولاده ينظرون لنا

فی خوف وتوجس وملل .. كانوا سود البشرة يبدو أنهم من  
إفريقيا ..

ثمة لافتة على الزجاج تقول : أوضح نموذج لـ Homo  
erectus .. تم العثور على هذه العينة فی ( تنزانيا ) ..

الصفحت (سلمى) وجهها بالزجاج وراحت ترتجف ..  
رأها طفل أسود بالداخل فاقرب منها وقد غلبه الفضول  
لكن أمه ركضت لتبعده ..

« ممنوع لمس الزجاج يا آنسة ! »

قالها المرشد فی عصبية ، فابتعدنا ..

وفی واجهة أخرى كانت أسرة من الأستراليين  
للبدائيين .. و...

هتفت (سلمى) بصوت مبحوح :

« (سالم) .. هل فهمت ما هي العظايا المنقرضة ؟ إننا  
لا نتكلم نفس اللغة ! إن العظايا هي نحن ! »

\*\*\*

## ٨- فلنفر من هنا ..

كنا فى حالة نفسية بالغة السوء ، ونحن نتقدم إلى الطائرة .. طائرة كبيرة نوعاً هى التى رأيناها أمس رابضة فى المطار .. لأين ؟ ( أبو العتاهية ) قال إن موعدنا فى الليل ، وما زال الليل بعيداً ..

لقد ارتفعت الطائرة فى الهواء ، وبدأت تعلو باستمرار .. لحسن الحظ كانت هناك مقاعد خالية وإلا لافتضح أمرنا لدى الصعود .. هذه الرحلات ليست تامة العدد فيما يبدو .. ولم نتبادل الكلمات .. لم نفتح فمنا بكلمة واحدة ..

لأننا لو تكلمنا لانفجرنا فى شلال من الأسئلة والاحتجاجات والهستيريا ..

الليلة لو نجونا سنذهب إلى ( جمشيد بن عباس ) .. سنلقى بأنفسنا تحت قدميه نتوسل إليه أن يشرح لنا كل شيء .. لا تقل إن الحقيقة هى ما فهمناه نحن .. قل إننا غيبان .. قل إننا حماران .. قل أى شيء .. لكن من فضلك لا تقل ما نعرف الآن هو الحقيقة ..

- « يمكنكم أن تروا النيل لو نظرتم إلى الجانب الأيمن .. »

كان هذا صوت المذيع أو الدليل أو الطيار ذاته ..

تصاعد الكثير من ( الواو ) و ( الياى ) ونظر الجميع من النوافذ اليمنى ، حتى شعرت بأن الطائرة تميل مهددة بالسقوط ..

- « قهضى .. »

قلتها لـ ( سلمى ) فى كآبة لأن منظرنا بدا غريباً الآن .. نهضنا ونظرنا من النوافذ وأطلقنا الكثير من الـ ( واو ) بدورنا ..

دوى صوت المذيع أو الدليل أو الطيار ذاته :

- « من الناحية اليمنى ترون الأهرام .. »

وتكرر المشهد من جديد بحماسة كبير ..

- « جولة الهرم الأكبر تجدون معبد ( فيلة ) و ( الكرنك ) .. »

ما هذا التخريف ؟ هل هذا من أنواع الخلط الشهيرة بين العوالم ؟ لكن لا .. ثمة شيء يقول لى إن هذا ليس خلطاً ..

- « والآن ترون أجزاء من سد ( مأرب ) .. وإطلال ( بئرا ) .. ثمة آثار قرطاجية بالغة الأهمية لو... »

هنا لم تتحمل (سلمى) أكثر فهتفت :

- « لحظة .. أنت تجمع أقصى اليمين مع أقصى اليسار  
في مكان واحد .. هذه الآثار مقلدة طبعاً ؟ »

لا أدري كيف سمعها فقد دوى صوت المذيع أو الدليل  
أو الطيار ذاته يقول :

- « بل هي أصلية طبعاً .. هذا عملنا هنا في ESF .. لقد  
تمكننا من نقل هذه الآثار المهمة للحضارات الغابرة ،  
وجمعناها كلها في مكان واحد .. هذا يسهل زيارتها  
وصيانتها ويحميها من التلف .. »

الآن نرى بقايا من الحضارة الآشورية .. وبعض بقايا  
الرومان في ليبيا ..

- « يمكن القول إننا استبقينا بعض الأجناس بهدف  
علمي بحث .. لكن خططنا مستمرة لجعل كل شيء تحت  
السيطرة .. »

أخيراً انتهت الجولة ، فبدأت الطائرة تدور بالعكس لنرى  
نفس المعالم من جديد ..

بعد ساعة أو أقل كفت للطيرة تتحدر لتهبط في المطار ..

وترجلنا أنا و (سلمى) شاعرين بحاجة ماسة إلى العثور  
على مكان نستجمع فيه خواطرنا .. مكان بلا بشر ..

وقف أحد العسكريين على باب الطائرة وهتف في مكبر  
الصوت :

- « هناك وجبة عشاء جاهزة لكم ، بعدها جولة حرة قبل  
ركوب الطائرة الـ (شارتر) للعودة .. »

كانت الحماسة قد بلغت بالقوم مبلغها ، وراحوا يلتقطون  
الصور لكل شيء .. لاحظت أن هناك شعبية كبرى للرمال ..  
الكل حريص على أن يحتفظ ببعضها في كيس ..

ثم جاء وقت العشاء ..

تناولناه في شرود ، بعدها وقفنا في المطار بينما الطائرة  
الضخمة التي سترحل بهؤلاء تدور ببطء على الأرض ،  
وصخب المحركات بصم الآذان . يبدو أن تزويدها بالوقود  
قد تم ..

إن فتحة السور هناك .. لو وجدنا اللحظة المناسبة  
لتسللنا إلى هناك ورفعنا السلك و ..

فوجئت بالعجوز البولندي الثرثار إياه يقترب منا ومعه



فتاة .. فتاة من طراز أبيض الشعر أحمر الجلد رمادي  
العينين ، حتى لتشعر بأنها سلبية صورة تمشي على  
قدمين ..

قال لي بالإنجليزية :

- « معذرة .. أنت ( بوخارست ) .. هه ؟ »

قلت باسمًا في عصبية :

- « وأنت ( وارسو ) !! »

رفع يد الفتاة وقال :

- « هذه ( ناديا ) من ( بوخارست ) هي الأخرى ! كانت  
تبحث عن رفقة فقلت لها إن مواطنتها هنا ! »

توارى الكون كله خلف غشاوة بينما الفتاة تضحك في  
مودة ، وتتطلق في حديث بالرومانية جدير بأن يخرج من  
فم الكونت براكيو لا نفسه ..

نظرت لـ ( سلمى ) ونظرت للفتاة ثم هزيت رأسي بمعنى  
أنتي لا أفهم .. إشارة غبية جدًا لا معنى لها .. ربما لو كنت  
أثبت جناتًا لاتهمت الفتاة بأنها نصابة وأن ما تتكلمه ليس  
الرومانية ..

وقف رقيب ما على باب الطائرة وصاح :

- « فليركب الجميع .. »

تأهب الجميع للصعود ، لكنني سمعت صوتًا يقول :

- « لحظة !! ثمة نقطة لا بد من استيضاحها .. »

نظر الجميع لمصدر الصوت .. كان هذا هو العجوز  
البولندي اليهودي ..

قال في حماسة ضاغطة على كلماته :

- « هذان الشابان .. لا أستريح لهما على الإطلاق ..  
يزعمان أنهما رومانيان وهما لا يعرفان حرفًا من  
الرومانية .. وأكد أقسم إنهما لم يكونا معنا في الطائرة  
عندما جننا ! »

صاح صائح :

- « بالفعل .. لم ترهما قط .. »

هنا - كما في الكوابيس - ظهر الجندي ( سميث ) الذي  
تشاجرت معه البارحة .. تدخل في الكلام قائلاً :

- « بالفعل .. هذان لم يكن اسمهما في الأوراق !! نحن  
لا نرتكب أخطاء .. لا تسقط منا أية أسماء سهواً .. »

وهتلت عجوز شمعطاء أخرى :

« الفتاة كانت معنا لمس في الطفرة العمودية .. وصاحت حين رأت الصاروخ بعبارة لم أسمعها من قبل بأية لغة !! »  
هنا أدركت أننا وقعنا في الشرك ..

لكن الشرك لن يكون السجن هذه المرة .. أنا أعرف ما يحدث لمن يقع في يد الجماهير الغاضبة ..

كل الجميع ينظر لنا الآن .. حوالى مئتي سلاح متحمس ، ومعهم عدد من رجال القاعدة أو المدينة .. لو كان الجهاز معنا الآن ! هذا وقت مناسب جداً لضغط الأزرار ..

بالفعل راحت أناملنى تضغط على زر وهمى فوق قماش سروالى ..

\*\*\*

في اللحظة التالية حدث ما يمكن أن تسميه ( أسلوب جريفث ) فى الإنقاذ على اللحظة الأخيرة ..

لقد دوى انفجار مروع فى مكان ما من المطار .. وفى اللحظة التالية كانت سحابة كثيفة من الدخان تغلف الجميع ، وتفرق الناس فى رعب .. وتعالى عبارات ( النجدة ) و Help و Secours و ...

هنا شعرت بيد قاسية عنيفة كالمنجل تطبق على معصمى وسط الدخان ..

حدث لشيء ذاته مع ( سلمى ) على ما يبدو .. وشعرت بأننا نجر كالخراف إلى السور وأخيراً وجدت الفتحة فاجتزتها ..

« تمرغنا ! بسرعة ليها الأحمقن قبل أن ينقشع الدخان ! »  
كان هذا سهلاً لأن هناك منحدرًا ، وسرعان ما راح جسدانا يدوران فوق الرمال كأننا حزمة من الصبار الجاف .. ومعنا حزمة ثالثة بدأت أفهم أنها أبو العتاهية ..  
أخيراً وجدنا أننا نرقد فوق الرمال التى يبيلها السواد والندى ..

لا بد أن تأثير اختفائنا كان درامياً بالنسبة لهؤلاء القوم بمجرد أن زال الدخان ...

قال ( أبو العتاهية ) :

« أعددت قبلة دخان لاستعمالها لو ساءت الأمور .. ويبدو أنني كنت حويطاً فى هذا .. ما كانوا يسمحوا لكما بالفرار مهما حدث .. »

ثم هتف وهو ينهض :

« نبتعد الآن .. هناك فجوة كهف قريبة .. يجب أن نتواري

قبل أن تأتي الطائرات الصودية .. للأسف الفضح أمر هذه  
الفجوة في السلك .. »

رحنا نركض بين الرمال حتى بلغنا فتحة من تلك الفتحات  
المعالجة بغاية .. يزيل الرمل للمعجونة .. ينزع الورقة المقواة ..  
ثم ندخل .. الخطر في الدخول هو أنه مهما حاولت من  
الداخل ، فإن الفتحة تظل واضحة للعيان منتهكة .. بينما  
الفتحات التي تعالج من الخارج يستحيل اكتشافها ..  
أخيراً جلسنا في الكهف المظلم ، فأشعل مشعل ما جعل  
الأمر الفضل ..

قال لي باسمًا :

- « فقدت شعرك المستعار يا صاح .. »

قلت له منهكًا :

- « لهذا خير من أن أفقد إحدى عيني .. »

بعد تفكير قلت (سلمى) :

- « لدينا عشرات الأسئلة .. »

قال وهو يضع بندقيته الآلية جانبًا :

- « نحن لدينا مئات الأسئلة لكننا لن نتكلم عن شيء

إلا أمام (جمشيد بن عباس) .. »

للمرة الأولى أظهرت (سلمى) جهلها بقواعد هذا العالم  
وكتبت عامدة :

- « هل هذا اسمه الحقيقي أم الحركي ؟ »

نظر لها في حيرة ، ثم قال بصدق :

- « اسمه الحقيقي طبقًا .. (جمشيد بن عباس بن محمود) ..

نحاول أن نبقى أسماء جدودنا حية ساخنة .. إن ابني اسمه

(فرنس) .. لهذا صار محتملًا أن يكون اسم ابنه - لو رزقه

الله باين - هو (العباس بن فرناس) .. »

قلت لـ (سلمى) مفسرًا :

- « رائد حلم الطيران .. »

هزت رأسها في غيظ :

- « أعرف .. بالله العظيم أعرف .. لدينا واحد منه كذلك .. »

وأطبقتا شفاهنا على الكلمات .. وأخذنا لصمت طويل

لختلط بلحظات نوم عميق ..

\*\*\*



## 9 - كيف بدأ كل شيء ..

- « الحقيقة يا ( جمشيد ) أننا لسنا من هذا الكوكب على الإطلاق .. لا أعرف إن كنت تصبق هذا لم تكنه ، لكننا لا نطلب منك التصديق أو التكذيب ، ولا نبالي برأيك .. فقط نريد فهم ما يدور هنا .. »

كان ( جمشيد ) جالساً على الرمال ، يجدل سلة صغيرة ، وقد جلس حوله طفلان ..

المكان كان واحة صغيرة .. لا .. لا لجسر على أن اسميها واحة .. لنقل إنها بنر جواره ثلاثة أكواخ من الشعر .. ثمة نساء هنا وأطفال ، وبضع أشجار النخيل ..

لم يبد عليه أنه سمع ما نقول .. فقط واصل جدل السلة ، وعيناه العجوزان المنهمكتان تحاولان قدر الإمكان أن تريا ما تقومان به .. ثمة نظارة ذات إطار من السلك مثبتة على أنفه ومن الجلى أنها لا تقدم له الكثير ..

الحقيقة أنني لم أفهم قط السر الذي جعل هذا المكان آمناً بالنسبة لطيران قنار على الوصول إلى أي مكان .. ثم فهمت

أنه من الأماكن المختارة للجولات السياحية الطائرة .. لا أحد يهاجمه لأنه مكان محبوب للسياح ..

من الواضح أن ما يعرفه هؤلاء القوم في ESF هو أن هذه الواحة تضم بدوياً مسالماً وزوجتيه وبعض الأطفال .. لكن الحقيقة كانت أنها ملتقى محبوب لرجال المقاومة .. ( جمشيد ) ورجاله ..

كذلك لا يمكن الآن الجدل في حقيقة أن ( جمشيد ) هو الحاكم القطري لهذا العالم السفلي المتشابك الرهيب .. إنه عقل على جسد ليس واهناً تماماً بينما رجاله عضلات ..

لكن ما يضايقتني الآن هو أن الرجل لا ينصت لنا على الإطلاق ..

قلت له بعد قليل :

- « ( جمشيد ) .. هل تسمعني ؟ »

قال دون أن ينظر لي :

- « كلمات .. كلمات .. سمعنا منها الكثير فلم أعد أبالي بها ..

ما الفرق بين أن تكون من هنا أو هناك ؟ ما المطلوب مني بالضبط ؟ »

وهو ما يقول بوضوح إنه لا يصدق حرفاً : نحن مجنونان  
لو عيّلان .. وهو يعيل إلى الرأي الأول لأنّ الجلسوس لا يكون  
بهذه الحمالة ..

قلت له :

- « النقطة الأولى هي جهازنا .. الجهاز الذى أخذوه منا فى  
القاعدة الأولى .. من أخذه طبيب يدعى ( ستارمكى ) .. »

- « أعرفه .. »

- « النقطة الثانية هي ما معنى هذا الذى يحدث ؟؟ سواء  
صدقنا أم لم تصدق ، فنحن لانعرف البتة كيف حدث هذا ،  
ولامتى وضع الهرم جوار آثار ( بئرا ) . من هم العظايا ؟  
من هؤلاء الناس ؟ »

قال وهو يتزع للنظارة :

- « سأحكى كل شيء .. ربما لأذكر نفسى ، سأسألكما  
أسئلة كثيرة بعد ما تنتهى قصتى .. »

\*\*\*

قال ( جمشيد ) وهو يرشف القهوة العربية :

- « إنهم يحاولون إبادةنا بالكامل .. بعدما انتصروا علينا

وسادوا البر والبحر والسماء ، يحاولون أن يزيلونا من على  
وجه الأرض ..

- « فيما مضى كان هناك عالمان .. عالم الشرق وعالم  
الغرب .. هذا قديم جداً .. وكان التناقض بين العالمين قوياً  
جداً برغم المحاولات العديدة لتقريبها ، لكن الغربيين كانوا  
يؤمنون بأن العالمين لن يلتقيا .. وقديماً قال أحد أدبائهم إن  
الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا أبداً .. »

كان يتكلم عن ( رديار كيبلنج RUDYARD KIPLING ) ..  
لديهم واحد منه هنا إذن ..

واصل ( جمشيد ) الكلام :

- « كنت هناك شعوب عدة فى الشرق .. العرب .. الهنود ..  
بالإضافة إلى بعض الشعوب الصغيرة مثل تلك الموجودة فى  
قلب إفريقيا وأجزاء من أستراليا .. وكان الصدام الحضارى  
قاسياً وصل درجة الحروب فى أوقات ما .. المشكلة بالنسبة  
لنا العرب هي أن ثرواتنا كانت عظيمة ، ولم يكن الغرب  
ليستطيع تكوين صناعة ناجحة من دون الاعتماد علينا ..  
كما أن بعض دولنا - مثل مصر - تميز بموقع جغرافى غير  
عادى يحتّم السيطرة عليه ..

« (بونابرت) الغازي الشهير قال (إن مصر أهم بلد في العالم) .. وكان يعني بهذا أن من يسيطر على مصر يسيطر على العالم .. كما كانت هناك دول بالغة الأهمية .. مثل الصومال التي تشكل نقطة حلكمة على ساحل إفريقيا وعلى خليج الهندى ..

« كانوا فكفاء بلعين .. وقد طوروا علومهم بحيث استطاعوا السيطرة علينا .. كانوا يأخذون منا الثروات ليصنعوها ، ثم يبيعوها لنا بسعر باهظ .. وكان اعتمادنا عليهم كلياً ..

« النقطة الثانية هي أنهم استطاعوا أن يزيلوا الخلافات بينهم .. لم يعودوا شتى .. بل كونوا جيشاً موحداً .. وصارت لهم تجارة واحدة واقتصاد واحد .. »

قلت (سلمى) فى حماسة :

- « نفس الشيء حدث فى عالمى .. لكن العرب هم من صنع هذا .. »

لم يهتم الرجل بملحوظتها وواصل الكلام :

- « صارت هناك الولايات الشرقية فى شرق أوروبا .. والولايات الوسطى فى غرب أوروبا ووسطها .. ثم الولايات الغربية عبر المحيط .. هذه الدولة الكبرى ذات الموارد غير المحدودة اسمها (إمبريا) ..

« لكننا فى زمن التكتلات هذا ازدادت خلافاتنا ومشاكلنا .. كلما تقاربوا هم تباعدنا نحن .. تكالبنا على مصالحنا الشخصية الضيقة .. غرقنا فى لشعارات والشعر .. ومن حين لآخر يقول قتل : فلنكف عن الخطب .. حان وقت العمل .. ثم تتحول كلماته هذه إلى خطبة جديدة .. ولم نستطع الإتفاق على شيء واحد حتى كنا نختلف حول ما إذا كنا فى النهار أم الليل .. والنتيجة هي أننا تلاحشنا .. فجأة لم نعد قوة لها حساب .. وصاروا قلرين على أن يعملوا بنا ما يريدون .. بدعوا بلبلد (أ) وقالوا إن هذا لمصلحتنا .. فتناسينا الأمر .. ثم انتقلوا إلى البلد (ج) زاعمين أن هذا ضرورى .. ثم جاء دور البلد (د) .. أنتم تعرفون قصة الثيران الثلاثة الشهيرة التي (أكلت يوم أكل الثور الأبيض) .. الآن لم يبق منا إلا بلد واحد على الساحل الغربى لشمال إفريقيا .. وهم لا ينوون تضييع الوقت .. إن دوره قادم حتماً ..

- « المشكلة الأخطر هي أن ثرواتنا انتهت .. نفدت .. وهكذا انصرفوا عنا .. حتى الاحتلال حمل عصاه ورحل تاركاً بعض المصكرات المنتثرة .. فى الماضى كانوا يصدرون لنا الطائرات والمسيارات والأجهزة الإلكترونية .. أما الآن فلم يعد لدينا ما نعطيهم .. بالتالى لم يعد لديهم ما يقدمون .. وبالتدريج لم



يعد لدينا دواء ولا كساء ولا أى شيء .. يسهل تصور هذا  
إذا تذكرت أنهم يصنعون القلم الرصاص ذاته ..

« هنا وجد هؤلاء القوم أنفسهم فى مشكلة .. إن الشعوب  
التي نفذت ثرواتها أو لم تعد لها أهمية ما ، تشكل خطراً  
دقيقاً .. إنها غلظة جوعى والجائع الغضب يفعل أى شيء ..

« لم يكن الغربيون ممن يهتمون بالحياة البشرية إلى  
هذا الحد .. إن إبادة الهنود الحمر بالرصاص أو التجويع أو  
حتى البطاطين الملوثة بالجدرى لأمر لا ينكره التاريخ ..  
وقد جاء الدور علينا . لا بد من استئصال الشعوب التي لم  
يعد لها أهمية ..

« استغرقت حملات الإبادة مائة عام . والنتيجة هي أننا  
كنا نزول بالفعل .. هنا يبرز الجانب الإنساني المناق لهؤلاء  
القوم .. إنهم يبيدوننا بيد ويقدمون لنا العون بيد أخرى .  
ليس الغرض هو الحفاظ على أرواحنا ولكن الحفاظ على  
جزء مهم من تاريخ هذه الأرض .. نحن كنز ثقافى علمى  
لا بد من إبقائه ..

« وهكذا تكونت الـ ESF وهي هيئة علمية شبه عسكرية ،  
تعمل على الحفاظ على ما تبقى من آثار تلك الشعوب التي  
بادت أو كادت .. ثمة متحف - زرتماه أمس - يضم مابقى

من عينات بشرية حية أو ميتة .. هياكل .. أدوات كنا  
نستعملها .. إلخ .. وهم يجمعون أى عظام فى الصحراء  
باعتبارها كنزاً ثميناً يزداد قيمة يوماً بعد يوم ..

« قاموا بجمع كل الآثار فى مكان واحد كما رأيتما لتسهيل  
زيارتها وصيانتها .. وهم يطلقون لفظة ( المعظايا ) على كل شيء  
يحاولون الحفاظ عليه .. بدءاً بعظام الديناصور وانتهاء  
بعظامنا نحن .. »

ابتلعت ريقى وقلت :

- « إن كلامك مخيف .. والآن أعرف الاختلاف بين  
الكوكبين .. ليس جوهرياً .. إنه اختلاف زمنى لا أكثر ! فقط  
لنتم تسبقوننا فى الأعوام ! »

سألته ( سلمى ) :

- « ولستم ؟ ماذا تفعلون ؟ »

قال منهمكاً :

- « نحاول ما يفعله أى كائن آخر وما فعله الهنود من  
قبل .. نحاول أن نبقى .. أن نحافظ على حضارتنا .. نقاومهم ..  
نقاومهم بشراسة لكننا فى الحقيقة لا نحدث أكثر من بعض  
الخدوش فى الدهاية ..

« نحاول التشبث بهويتنا .. نحافظ على ديننا .. نحافظ على  
لغتنا .. على أسمائنا .. كل واحد منا يحمل اسم علم من أعلام  
العرب .. هكذا لا ننساهم أبداً .. لاحظت أن طعامنا غارق في  
التقاليد العربية .. حتى الأغاني لا نسمعها للمتعة ولكن لأنها  
تجعلنا على خطوط اتصال مفتوحة بماضيها .. نتناسل ..  
نعلم أطفالنا .. »

سألته ( سلمى ) :

« هل تعتقد أنهم سينجحون في إبادتكم ؟ »

« لا أتساءل .. لقد نجحوا فعلاً !! فقط آخر معقل لنا  
هو ذلك القطاع في شمال إفريقيا .. ومن الواضح أن  
اجتياحه قادم .. لسوف يبقى عشرات منا يمثلون ما يمثلته  
الهنود في أمريكا الشمالية .. مجرد أثر أنتروبولوجي عالي  
القيمة .. ولربما يظهر بعضهم في السينما من حين لآخر  
في أدوار السحرة الهنود الذين يعرفون الأسرار كلها ! »

قلت في غيظ :

« هذا مهين حقاً يا ( جمشيد ) .. توضعون في المتحف  
وتنظم الزيارات لرؤيتكم .. »

قال ببساطة :

« من أنكر هذا ؟ لا حاجة بك إلى أن تخبرني .. لكنك  
تراني أقاتل ولسوف أموت وأنا أحمل بندقيتي .. »  
« هذا غير كاف .. الهنود كانوا من أبسل الشعوب  
وأشجعها .. وليس منهم من لم يموت وهو يقاتل .. لكنهم  
انقرضوا برغم هذا .. »

ابتسم في قسوة لأنه وجد ساذجاً بهذا ، وقال :

« إذن قل لي ما أفعله ولسوف أكون شاكراً .. »

قالت ( سلمى ) :

« يتكلم عن السلاح طبعاً .. ما هي حالة تسليحكم ؟ »

لوح بالبندقية وقال باسمًا :

« هذا .. وبعض المتفجرات .. بعض للصواريخ الحرارية ..  
لا يوجد الكثير .. »

« نغني الأسلحة المحترمة .. ما هو وضعكم للتووى ؟ »

ارتجفت للفكرة ، لكنني نظرت لها وقلت في استخفاف :

« ماذا تتوقعين ؟ هذه الأشياء تحتاج إلى قدر هائل من  
العلم والعمل .. »

قال ( جمشيد ) فى جدية :

- « كما تقول .. لكن هناك كذلك القنبلة الأيونية ، وهى لا تقل خطراً عن النووية .. هناك عالم باكستانى استطاع أن يصنع قنبلة أيونية خفيفة الوزن رخيصة الثمن ، وبحيث كثيراً عن يموله لكن للجميع خشى الكلفة أو المسئولية .. الرجل الآن ضائع ولا يعرف أحد مكانه .. »

ثم لعل شفتيه السفلى الجافة وغمغم :

- « رحمه الله إن كان ميتاً .. اسمه كان ( إسماعيل خان ) .. »

هتفت ( سلمى ) وهى تثب على قدميها :

- ( إسماعيل خان ) لقد كان سجيناً فى المعسكر الأول .. »



## 10 - عملية ليلية ..

قلت فى ملل :

- « أعتقد أن كل الباكستانيين اسمهم ( حشمت خان ) أو ( إسماعيل خان ) .. هذا لا يضيف شيئاً .. »

لكن ( جمشيد ) كان مهتماً بالأمر .. قال لنا فى جدية :

- « على قدر علمى لا يوجد فى المنطقة إلا هذا ( إسماعيل خان ) .. »

جلس للمرة الأولى تتفحص عيناه للقويتان وجوهنا .. سألنا عن كل التفاصيل .. كان يعرف المعسكر جيداً ، ولكنه يجهل كل شيء عن فيه .. كانوا يطلقون عليه ( مجزر ستارمكى ) .. و ( ستارمكى ) هذا هو مدير المشروع والمسئول عنه بالكامل ..

ومن جديد عاد يسألنا عن تفاصيل زيارتنا للسياحية بإها .. فلما انتهينا من سرد قصتنا ، قال لنا وهو ينهض :

- « ستظفران بقسط من الراحة . إن هذا الخبر أهم شيء سمعته منذ سنتين .. ( إسماعيل خان ) حى .. »



دخلنا إلى أحد الأكواخ حيث مارسنا تلك المتعة  
العظمى : خلع الحذاء .. وجاءتنا امرأة بجرة مليئة بالماء  
كى تغسل وجوهنا ونشرب .. ثم جلبت جرة بها لبن بارد ..  
لا بد أنه لبن ماعز ..

قلت لـ (سلمى) وأنا أرقد على الأرض التى غطتها  
بعض الجلود :

« لا أعرف ما هى تلك القنبلة الأيونية .. »

قالت فى ثقة وقد ضمت ركبتيها إلى صدرها :

« موجودة فى عالمى .. إنها شديدة الفتك .. »

قلت لها فى ضيق :

« أنا أكره الدمار أينما كان .. وعلى قدر علمى لم  
يمتلك إنسان سلاحاً إلا وجربه .. لقد كانت الحرب العالمية  
قد انتهت تقريباً لكن الأمريكان وجدوا أن ( أوبنهايمر  
Oppenheimer ) اخترع القنبلة الذرية فعلاً .. هكذا كان  
الإغراء لكبر من أن يرفض .. »

« تعنى أنهم لقوها على اليابس لمجرد أنهم يستطيعون ؟ »

« هذه هى الحقيقة .. »

شردت (سلمى) وابتسمت بزاوية فمها اليسرى قائلة :

« على قدر علمى لا يوجد طريقة لحفظ السلام إلا أن  
تملك ما يملكه خصمك .. فيما عدا هذا لا توجد أسس  
للسلام .. لقد عرف العرب فى عالمى هذا الدرس مبكراً  
وطبقوه بعناية .. إن هذا هو توازن الرعب .. لا أعرف إن  
كان عندكم هذا المصطلح أم لا .. لو امتلك العرب هنا قنبلة  
أيونية فإتهم يستطيعون الحفاظ على حضارتهم العريقة من  
الانقراض .. »

ثم أضافت وهى تعتصر قبضتها :

« ثم أى شيء يمكن أن يصمد أمام هذه المهاتة ؟ رحلات  
سياحية وعروض فى نوافذ عرض ؟ اسم المشروع نفسه  
مهيئ ( صندوق الأكواع المنقرضة ) .. هل تقبل لنا أن  
نتحول إلى نوع ؟ »

الحقيقة أن كلامها لم يخل من منطق .. وتذكرت الاسم  
الذى اختاره ( بن جوريون ) فى عالمى لمشروع القنبلة  
الذرية الإسرائيلية : ميكروع هاكل .. عبارة عبرية معناها  
( قبل أن يضيع كل شيء ) !

لو كان الهنود الحمر يملكون مدافع وديناميت وجيوشاً منظمة

لظنوا أحياء .. ولربما طردوا الغزاة الأوروبيين كذلك .. لقد صدقوا مقولة ( إن الشجاعة تكفى ) .. لكنهم لم يعرفوا أن ( التكنولوجيا تقهر الشجاعة ) ..

قلت وأنا أغمض عيني :

« أرجو فقط أن يكون هدف هؤلاء هو التهديد لا أكثر .. »

\*\*\*

في المساء رأيتهم ..

كانوا عشرة من الرجال الأشداء كاملى التسليح .. لقد لقوا الكوفيات منتمين وجوههم فبدوا شديدي المراس مرعبين .. وكانوا يرسمون على الرمال خطة كاملة لعملية الليلة ..

قلت لهم وأنا أقدم رجلاً وأؤخر أخرى :

« هل أتى معكم ؟ »

قال ( سلمان ) وهو ينظر لى فى ثبات :

« لا يا أخى .. فأنت خائف .. »

كيف عرف هذا ؟ بالطبع لو كان هو أنا .. لابد أنه يعرف ما أشعر به .. هو كذلك خائف لكن للضرورة أحكامها ..

ودت لو بقى فترة أطول لأسأله عما إذا كان يحب القطط الصغيرة وقراءة الصحف فى الحمام ومصاب بالقرحة .. طبعا لا مجال لأسئلة سخيفة كهذه فى هذا الوسط الذكى القاسى شديد الخشونة .. لابد أنه لم ير جريدة ولا حماما قط ..

وقال ( جمشيد ) الذى وقف وسط الرجال :

« مهمتهم خطيرة ووصفك للمكان دقيق .. إن ذهابك

معهم سيوقعهم .. »

ثم نظر لهم نظرة ذات معنى وقال :

« أتوقع ألا يعود منهم إلا ثلاثة لو كانوا مجدودى الحظ .. لهذا أطلب منهم الاستعداد للشهادة من الآن .. لقد أبلغنا أسركم بأنكم قضيتم نحبكم ظهر اليوم .. »

دنوت منه فى خجل وقلت :

« ثمة شيء آخر يهمنى .. ( ستارسكى ) هذا .. إن معه جهازا فى حجم قبضة اليد .. جهازا يشبه الآلة الحاسبة لو رأيتم واحدة .. آلة حاسبة عليها حروف وأرقام عربية .. هذا الجهاز هو مفتاح عودتنا إلى عالمنا .. لا أعرف إن كنت تصدق أم لا .. أعرف أنك لا تصدق .. لكنى راغب فعلا فى استرداد هذا الجهاز سليما .. »

نظر إلى الرجال وقال :

- « سمعتم ما قال .. لا داعي للشرح .. لكنى أرجو أن تحاولوا استرداد هذا الجهاز .. لو اضطررتم إلى تهديد ( ستارسكى ) فلا بأس .. »

ثم نظر لى وسألنى :

- « كيف تقول ( الجهاز الصغير ) بالإنجليزية ؟ »

قلت فى ارتباك :

- « ديفيس .. أو فلنقل .. سمول أباريتس .. »

- « ليكن .. لا تنسوا هذه العبارة .. سمول أباريتس .. »

ثم لوح بقبضته وهتف :

- « أريد الهاكستاتى .. أقسموا على أن تأتوا به لى .. »

أقسم الرجال وتعانقوا مع ( جمشيد ) .. حتى أنا نالنى عناق أو اثنان برغم أنه لا دور لى فى هذه القصة ..

ثم إن الصحراء المظلمة ابتلعت الرجال ..

قال ( جمشيد ) وهو يجلس :

- « لن يعود من تبقى منهم إلا فى الصباح .. لنشرب

بعض القهوة ثم نخلد إلى النوم .. »

\*\*\*

لكن النوم مستحيل فى ليلة كهذه ..

الشعور بأنك مسئول عن حياة هؤلاء الرجال ، وأنتك ربما كنت مخطئاً .. الشعور بأن كل هذا مستحيل .. لقد قررنا بنوع من السهولة من المصكر فى المرة السابقة ولكن هذا لأنهم تصرفوا معنا بإهمال .. لكن ماذا عن إهمالهم الآن ؟

ورحت أشق بعينى المسافات ..

أرى الرجال يتسللون على المصكر ..

يقطعون السلك الكهربى الذى يتصل بالسلاح ، ثم يقطعون السلك الشاتك نفسه .. يزحفون على البطون إلى الداخل .. ثمة حارس يقابلهم فيلتحمون معه بالسلاح الأبيض ..

يفتشون بين الغرف .. يلتحمون مع حراس آخرين .. الآن لم تعد هناك حاجة للسلاح الأبيض لأن بعض الطلقات انطلقت بالفعل ، ودوت صفارات إنذار ..

الآن صارت العملية أكثر قسوة .. وبدأت الطلقات تدوى .. ثم أخيراً يدخل أحدهم السجن فيجد الشكل القابع فى الظلام .. يطلق الرصاص على القفل ليخرجه ..

مزيد من الطلقات ..



( ستارسكى ) يغادر مكتبه فيجد قهوة بندقية تلتصق  
بصدغه .. يعود إلى المكتب صاحب اللون عاجزاً عن  
الكلام .. لقد فعل الكثير بالعرب من قبل ، ولو كان من  
يهدده الآن يعرف هذا لانتهى أمره ..

لكن من يقتاده إلى المكتب يسأله بلغة إنجليزية فظيعة :

« سمول .. سمول أباريتص .. أباريتص .. سمول .. »

يفرغ كل أدراج مكتبه من أى ( أباريتص ) .. يضعها  
على المنضدة وعيناه لا تفارقان القهوة .. يبحث المهاجم  
بين الأجهزة ثم ينتقط ذلك الجهاز الذى وجدته مع الغربيين  
فى الصحراء .. يدسه فى جيبه .. ينظر له .. ثم يغادر  
المكتب ..

يجلس ( ستارسكى ) يجلف عرقه غير مصدق .. لو عرف  
الأحمق أنه أضاع أكبر فرصة للانتقام فى التاريخ .. الحقيقة  
أن ( ستارسكى ) أجرى على العرب تجارب تفوق ما كان  
( يوسف منجيل ) الرهيب قد أجراه على اليهود .. تفوقها  
عدداً وتنوعاً .. لكن فى هذا العالم .. كما فى أى مكان آخر —  
يوجد ثمن للدم اليهودى بينما لا ثمن لأى دم آخر ..

الحقيقة هنا أن هؤلاء الرجال لم يتلقوا تعليمات بقتل  
( ستارسكى ) إلا لو قاوم ..

المهاجمون يغادرون المصكر وهم يطلقون النيران ..  
تفجر طائرتان عموديتان كان الكل يعتمد عليهما فى  
مطاردة الهاربين عبر الصحراء ..

هناك من سقطوا من المهاجمين .. لكنهم جثث هامة ..  
لا يمكن استجوابهم ..

واحد فقط وثب على مجموعة من الحراس .. ثم بوى انفجار  
مريع وتناثرت الشظايا فى كل صوب .. لقد لغم نفسه ..

حقاً لم أستطع النوم وأنا أحلم بهذا كله ..

نظرت إلى ( سلمى ) فوجدتها تنعم بنوم هادئ ..

غادرت الخيمة وخرجت إلى العراء ..

كان ( جمشيد ) يجلس أمام جهاز صغير .. دنوت أكثر  
فوجدت أنه جهاز تلفزيون .. أقدم جهاز رأيته فى حياتى ،  
وعلى شاشته كانت أسوأ صورة رأيتها فى حياتى .. المتكلم  
لا يكمل جملة واحدة من دون أن تتلاشى الصورة إلى  
نرات .. من ثم يقوم ( جمشيد ) بتحريك الجهاز أو لفة .. بعد  
قليل تتحول النرات إلى متكلم ..

كان الجهاز يعمل بالبطاريات الجافة .. ورأيت أن سلكاً  
يخرج منه علقه ( جمشيد ) إلى أقرب نخلة ..

جلست جواره وغمخت :

« تلفزيون .. ثم أعرف أن عندكم واحدًا .. »

« الأخير .. يساعدنا في معرفة ما يدور هناك .. لكننا لا نعرف أية لغة أجنبية ، لهذا نشاهد الصور فقط .. »

« من عرف لغة قوم أمن شرهم .. »

« هذا حق .. لكن لا يوجد معلمون هنا كما ترى .. هل تقبل تعليمنا ؟ »

كنت لا أرغب ولا أتمنى أن أظل هنا إلى هذا الحد ، لكنها فكرة لا بأس بها .. من المفيد أن تعلم هؤلاء القوم شيئاً .. إنهم عرب برغم أنهم على كوكب آخر في مجرة أخرى !

أضاف في شيء من الفخر :

« لدينا كذلك كاميرا وشريط فيديو .. لم نستعمل هذين قط لكنهما قد يصلحان يوماً .. »

على الشاشة كان هناك مجموعة من السادة يبدو عليهم الهم مع الكثير من الجدية ..

قلت له ( جمشيد ) :

« إنهم قلقون بصدد وجود مجموعات إرهابية في المنطقة الغربية من الشمال الإفريقي .. »

قال ضاحكاً :

« هم دائماً قلقون .. منذ مئة عام وهم قلقون .. أحرقوا أطفالنا وقرانا ومساجدنا وما زالوا قلقين .. يملكون الطائرات والقتال النووي والهيدروجينية والنيوترونية والأيونية وما زالوا قلقين .. عروا نساءنا واقتحموا ديارنا وما زالوا قلقين .. لا أعرف كيف نطمئنهم على أنه لا خطر منا ! »

هزنتي كلماته فرحت أراقب الشاشة صامتاً كي لا يتهدج صوتي ..

قلت له :

« يبدو أنهم يتوون تجريد حملة لتطهير هذا القطاع .. »

« بالتأكيد .. كلنا يعرف هذا .. سيمرحون كثيراً هناك .. »

ثم نظر إلى الأفق وقال وهو ينهض :

« إنه الصباح .. ربما يعود رجالنا أو لا يعودون .. لكنني على كل حال سأخفي السلك الآن حتى لا تلاحظه الطائرات .. من الخير أن نخفي نحن أيضاً فلربما كانت جولة سياحية .. مرة .. ثم توقف ونظر للأفق وهتف :

« لم تعد عيناى على ما يرام .. هل ترى رجالاً هناك ؟ »

نظرت إلى حيث أشار وقلت :

- « نعم .. هناك رجال واحد هم يحمل رجلاً على كتفه ..  
إنهم رجالك .. أعني رجالنا .. »

\*\*\*



## 11 - ميكرع هلكول ..

أو ( قبل أن يضيع كل شيء )

كانوا قد صاروا خمسة ..

تركوا منهم خمسة هناك جنباً هامدة .. لم يتركوهم إلا بعدما  
تيقنوا من أنهم جنب هامدة ، لأن تعذيب ( ستارسكي ) ينتزع  
الأسرار من حوض الاستحمام ذاته ..

لماذا لم يعذبنا حين كنا في قبضته ؟ ثمة رايان .. الرأي  
الأول يقول ما معناه ( لا تتعجل رزقك .. كل شيء كان في  
قطري ) .. لرأي الثاني يقول : لأننا كنا غريبين غير معادين  
بالنسبة له . وكان يشعر أننا قد نفيدوه أكثر مما لو عذبنا  
وتركنا حطاماً بشرياً ..

والسؤال هنا : ماذا بقي من ذلك الباكستاني لو كان هو  
المطلوب ؟

أما الخبر السمين فهو أن ( سلمان ) قد كان من الذين لم  
يعودوا قط .. ولن يعودوا أبداً .. كتب لي و ( سلمى ) أن



تلقى نسختنا هنا الشهادة .. نحن اللذان لم نتبادل معه أكثر من ثلاث عبارات ..

وصلوا إلى الخيام وبسرعة تمت عملية إخلاء عاجلة ..

لم يبق إلا عدد محدود منا دخلوا إلى الخيام ، بينما ذاب أكثرهم في الجبال .. إن الطائرات قد تصل في أية لحظة ..

كان الباكستاني في حالة مريضة .. تذكروا أننا لم نره في النور قط .. بل لم نره في الظلام .. وقد بدا لي مثل (روبسون كروزو) بعد أعوام من محبسه .. أظفار طويلة ولحية تغطي أعلى بطنه وأسمال بالية .. لكني رأيت عينيه فأدركت أنهما تشعان نكاء .. إنهم لم يقضوا عليه بعد ..

كان أول سؤال سألناه له :

- « هل تكلمت ؟ »

قال بعربية واهنة عرجاء :

- « لا .. »

وهكذا هدأت النفوس قليلاً وبدأت عملية إطعام الرجل وسقى الرجل وغسل جسد الرجل وإبدال ثياب الرجل وإراحة الرجل .. طبعاً قامت (سلمى) بالجزأين الأول والثاني ، بينما وقعت الأجزاء الثلاثة الباقية على عاتقي ..

في نهاية اليوم كان قد بدأ يبدو بشرياً لكنه ظل عاجزاً عن الوقوف .. الآن فقط أجد أنه يبدو كالعلماء وليس كالمجاذيب .. وهكذا جلسنا على الرمال في حلقة صغيرة حول نار متقدة .. ودارت الدلة تقدم لنا القهوة العربية ..

قال له (جمشيد) وهو يقدم له بعض اللبن :

- « منذ متى وأنت معهم ؟ »

- « خمس سنوات ! »

- « ولماذا احتفظوا بك كل هذا ؟ »

- « خمنوا أن ما لدى خطير .. لكني لم أتكلم .. لهذا كان

الحل الوحيد أن يبقوني حبيساً .. »

قال (جمشيد) وهو يعقد يديه أمام وجهه :

- « دعني أقول لك أننا لم نفقد خمسة من رجالنا لأننا

نحب ذلك .. نحن نعرف أنك الوحيد القادر على صنع أو

اختراع القبلة الأيونية .. ومصيرنا كله معلق بها .. »

قال الباكستاني واللبن يسيل على ذقنه :

- « لقد صنعتها بالفعل ! »

هنا سلك صمت رهيب .. وسقطت بعض الأقناع من الأيدي ..  
إذن كانت القنبلة موجودة طيلة هذه الأعوام ولا أحد يعرف ..

- « وهل تستطيع عمل سواها ؟ »

- « مصفحيل ! لم يعد الزمن ذات الزمن .. قمت بتركيب  
آخر جزء منها وأنا في قسم الفيزياء في ( كراتشي ) قبل أن  
تسقط البلاد .. إنها مدفونة في الصحراء هنا في موضع لم  
أنسه قط .. لكنني في السجن منذ خمس سنوات .. وكنت  
أتمنى لو خرجت وفجرتها في قلب ( إمبيريا ) .. في هؤلاء  
الكلاب الذين عذبونا وأهاتونا .. »

ولمعت عيناه بهريق متوحش :

- « أتمنى أن أرى لحمهم يحترق ويذوب .. أن أسمع  
صرخات نسلهم .. أن .. »

هنا تدخلت أنا في عصبية :

- « اسمع يا سيدي . قبل أن تدخل في تفاصيل .. هذه  
القنبلة لن تلقى على بشر .. سيتم استعمالها كورقة ضغط ! »

نظر لي متحدياً بعينه الواهنتين وقال :

- « ومن أنت كي تحدد لي ؟ »

قال ( جمشيد ) وهو يهدئ الأمور :

- « هذا هو الرجل الذي لولاه لقضيت في محبسك ..  
وإني لأرجو سماع خطته قبل أن نتحرك .. »

تكورت على نفسي وبنوت أكثر من النار ، وبحثت عن  
( مسلمي ) فوجدتها تبسم لي مشجعة .. قلت بلهجة حاسمة :

- « لولاً .. يجب تفجير هذه القنبلة .. هنا في الصحراء .. »

قال ( جمشيد ) في غيظ :

- « إن كنت تمزح .. كل هذا الجهد كي نفجر أملنا الأخير في  
الصحراء ؟ »

قلت ضاحكاً على كلمتي :

- « ليس هدف القنبلة التدمير بل التخويف .. لابد من  
أن تصل الرسالة كاملة .. هل هناك محطات تلفزيونية هنا ؟  
أعني شبكات عالمية للأخبار ؟ »

قال ( جمشيد ) :

- « هناك شبكات عدة كلها في المدينة الصحراوية .. إنها  
تبث إلى العالم الغربي أخبار العظايا .. »

- « وما هي قدرتكم على توصيل شريط فيديو لهم ؟ »

- « أعتقد أن رجالى قادرون على ذلك .. هناك صناديق  
بريد على كل حال .. »

- « إذن سيتم التفجير فى أقرب فرصة .. وسنقوم  
بتصويره .. أنت قلت إن هناك كاميرا .. »

قال ( جمشيد ) باسمًا :

- « لا داعى للتصوير .. ما إن يتم الانفجار حتى تلتقطه  
الأقمار الصناعية .. سيعج المكان برجالهم خلال ساعات ..  
لو أن شعبانًا تشاءب فى هذه الصحراء لالتقطوا صورته .. »  
- « لكنى أريد التصوير .. لن أسمح بالمجازفة لو أن يمر  
الانفجار دون أن يلاحظه أحد .. »

انتهيت من كلامى فاسترخيت قليلاً ، هنا قال لى  
( جمشيد ) وهو يضحك ضحكة ذات معنى :

- « بالمناسبة عندي هدية لك .. »

- « وما هى ؟ »

كان الجهاز ناقل الجزيئات فى يده .. لم أر قط جهازًا  
أجمل من هذا ..

مدت يدي لكن يد ( سلمى ) كانت الأسرع .. لقد انتزعت

الجهاز وراحت تقلبه فى يدها فى نهم .. ضغطت زرًا صغيرًا  
للتأكد من أن البطاريات بحال جيدة .. لم يחדش لحسن  
الحظ ، وكان من السهل أن تخترقه رصاصة ..

قالت لى فى خبث :

- « ما رأيك ؟ »

- « مثل رأيك .. لم يحدث قط أن استرددناه بهذه السهولة .. »

- « هل نرحل ؟ »

- « لا .. لا بد من اتمام مهمتنا .. لكننى أوصيك به  
خيرًا .. أنت لا تفعلين شيئًا إلا إضاعته كأنما يدفعون لك  
راتبًا من أجل هذا .. »

ونظرت لـ ( جمشيد ) طويلاً وابتسمت .. ومن قلبى همست :

- « شكرًا .. »

\*\*\*

تم التفجير فى الساعة صباحًا بعد يومين ..

كانت القنبلة تعمل جيدًا ، وكان العالم قد دفن جوارها  
أجهزة التحكم عن بعد اللزجة لهذا التفجير ..



لجئنا مسافة كافية في تقدير العالم - حوالي كيلومترين - ثم  
تم الانفجار .. ولم تفرق عين (سلمى) العسة لحظة واحدة ..  
حقاً كان أغرب انفجار رأيته في حياتي .. له ذات الطابع  
الذى رأيته للقتال في هذا العالم .. الانتشار الشبيه  
بالسوائل ، ثم اللهب الأخضر .. لكنه انفجار ضخم مريع ..  
سحابة زرقاء تتصاعد لتنتشر على ارتفاع كيلومتر من  
سطح الأرض لكنها لا تشبه سحابة عش الغراب الشهيرة ..  
كان الباكستاني في حالة مريضة من التوتر والقلق .. إنه  
لم يجرب قبلته قط وكان من السهل أن يفشل .. لهذا بكى  
فرحاً حين رأى الانفجار ..

توقعت أن يقول (أنا قد صرت الموت .. مدمر العالم )  
كما فعل (أوبنهايمر) بعد نجاح أول تجربة للقبلة الذرية  
في (لوس الأموس) على كوكبي .. لكنه لم يكن يعرف هذه  
الصلاة الهندية على كل حال ..

المهم أن الفيلم كان ناجحاً ..

بعد هذا عدنا إلى الأكواخ .

بدأنا بتطبيق ملاءة كبيرة على الجدار لتكون خلفية  
محايدة للصورة ..

ثم جاء نوري ..

كنت قد كتبت الخطبة عدة مرات ، وتدربت على  
إلقائها .. في النهاية صرت أحفظها عن ظهر قلب ..  
جلست (سلمى) أمامي وبدأت تشغيل الكاميرا العتيقة ..  
كنت أظهر بوجهي كاملاً الآن .. لو سارت الأمور كما  
نريد فلن نكون هنا حين يلتشون عنا ..  
أشارت لي باسمه كي أبدأ الكلام فابتلعت ريقى ..  
كنت أنا الوحيد الذى يمكن أن يلقي هذه الخطبة لأننى  
أجيد الإنجليزية .. ولأننى و(سلمى) لن نكون هنا كما قلت  
لك ، حين يشرع الجنود يلتشون تحت كل حجر ..  
فقط عليهم ألا يعرفوا أننا كنا فى هذه القرية .. لهذا  
وضعتنا للملاءة ..

قلت بصوت هادئ :

- «نعم يا سادة .. ما رأيتموه هو انفجار تجريبى للقبلة  
الأيونية التى تمكنا من صنعها بمعونة بروفيسر باكستاني ،  
الذى يدهشنى أنه كان فى قبضة د. (ستارسكى) ولم ينتزع  
منه أية أسرار بل وتركه يفلت من يده .. والأهم هنا أننا  
كنت أنا نفسى فى قبضة د. (ستارسكى) .. »

كان هذا نوعاً من (الإسفين) ألقه عمداً .. وأنا أعرف أن  
حالة الهياج والذعر التى ستحدث كفيلة بسلخ الرجل حياً ..

- « الحقيقة المخيفة يا سادة هي أن هناك أربع قتابل من ذات النوعية موجودة الآن في مخابن حصينة في أربع مدن مهمة من مدنكم .. أية مدينة هي ؟ هل ( لندن ) ؟ ( لوس انجليليس ) ؟ ( شيكاغو ) ؟ ( بوخارست ) ؟ إن الحرس متروك للجميع .. لكنى أؤكد لكم أن هذه القتابل تم تركيبها بالداخل على أيدي عملائنا وبخامات محلية .. وهناك شاب مسئول عن كل قبلة .. هذا الشاب من ذويكم ويتقاضى أجراً على مهمته هذه . وهو لا يعرف أى شيء عنا ولا عن القتابل الأخرى ، لكنه سينفذ مهمته بمجرد أن يتلقى إشارتنا .. والإشارة قد تكون أغنية أو إعلاناً في التلفزيون .. قد تكون رسالة وقد تكون موعداً محدداً .. »

- « والآن لنا يا سادة أن نتخيل ما سيحل بمدنكم المزدحمة لو وجدت فيها ذات المشهد الذى رأيتموه فى الصحراء .. هل تخلون مدنكم ؟ مستحيل .. لا يمكن أن تخلوا كل مدينة من مدنكم .. ولو أننى حددت المدن المستهدفة لكان الأمر سهلاً .. »

- « هل هذا ابتزاز ؟ نعم يا سادة . إنه ابتزاز .. لم لا وقد تعلمنا منكم النفاق والخداع وازدواج المقاييس منذ

زمن .. أنتم أبديتم قومنا وفى الوقت ذاته تتفقون المليارات من أجل الحفاظ علينا لمتاحفكم وتطلقون علينا ذلك اللفظ المهين ( العظايا ) .. أى أننا انقرضنا لأننا لم نتطور .. »

- « لقد تعلمنا الدرس كاملاً ، ومن اللحظة سيكون توازن الرعب حقيقة واقعة .. »

- « نحن لا نهدد الأمنين .. لانخيف أحداً .. فقط نحن نحمل وجودنا وحضارتنا من صياديك .. وما نطلبه منكم بسيط جداً .. لا تأتوا إلينا .. نحن لن نذهب إليكم ، فلا تأتوا إلينا .. إن هناك حملة يتم إعدادها لإبادة غرب القارة عما قريب ( لأنكم قنقون ) .. وأنا أقول لكم إن هذه الحملة لن تتم .. لأن لحظة بدنها ستكون هى إشارة التفجير للقبلة الأولى .. ثم يتم تفجير قبلة كل يومين .. »

- « لا تقتطوا يا سادة .. فلا تنسوا أنكم فعلتم شيئاً مماثلاً فى اليابان منذ أعوام ولم يتحدث أحد عن الابتزاز .. كان تفكيراً عملياً حقن دماء جنودكم كما قلتم وقتها .. »

- « نحن نفعل نفس الشيء فلا تكونوا خاسرين سنيين .. يجب أن تتحملوا الهزيمة بروح رياضية .. »

- « ستظل القتابل فى مكاتها ولن تعرفوا مكاتها أبداً .. ولنسوف تسحبون قواتكم وفرق الدراسات إياها .. لنسوف



تتعاونون مع الحكومات الجديدة التى ستتشاء فى هذه المناطق .. لسوف تمولون مشروعات التعمير وما يلزم لإنشاء دولة .. هذا نذر يسير من كل الثروات الطبيعية التى سرقتموها من هذه البلدان .. نحن لانطلب إلا الحق فى الحياة وهو مطلب عادل .. كما أن كلامنا واضح : لا تأتوا إلينا فلن نذهب لكم ..

« ستبحثون عني يا سادة لكنكم لن تجدوني .. لا تتعبوا أنفسكم فى استجواب الأبرياء وتعذيبهم .. فلا أحد يعرف أين أنا .. لا أحد يعرف مكان القنابل سوى .. ودعوني أؤكد لكم أننا نعتبر تعذيب الأبرياء أو البروفسير الباكستاني خرقاً واضحاً منكم ربما يستدعي تفجير واحدة من هذه القنابل .. »

« شكراً يا سادة .. وأكرر : نحن لم نفعل إلا تطبيق ما تعلمناه منكم .. »

انتهى التسجيل فرحت ألته .. العرق يغمرنى .. ونسبة الأديريالين فى دمي تجعلنى كأنما أنا خرقة بالية .. بينما رفعت ( سلمى ) إبهامها بمعنى أننى كنت رائعاً ..

سألت ( جمشيد ) :

« الآن هل يمكنكم توصيل الشريط إلى إحدى وكالات الأنباء ؟ »

قال فى رضا وهو يأخذه منى :

« بالتأكيد .. سيلقيه رجالى فى صندوق بريد الآن .. »

قالت لى ( سلمى ) باسمه :

« هذه فكرة لا بأس بها .. »

قلت لها :

« كانوا سيفجرون القنبلة على سبيل الانتقام لا أكثر .. وكنا سنفقدنا بثمن بخس .. بهذه الطريقة من ( اليلف ) يشعرون بأننا أقوى من حقيقتنا .. بالإضافة إلى أن يدنا لم تتلوث بجريمة حرب مثلهم .. »

\*\*\*

وفى نشرات المساء رأينا الصورة مراراً وسمعت كلماتى تتردد مترجمة لعدد من اللغات ..

لما الأجل فهو حالة الاضطراب العامة التى بدت واضحة .. مظاهرات فى الشوارع .. مشاجرات برلمانية .. فرق بحث .. وهدير الطائرات فوق رؤوسنا عدة مرات خلال نصف ساعة من إذاعة الرسالة مما دلى على أن وقت الرحيل قد حان .. لقد صرت فجأة صاحب أشهر وجه فى العالم الغربى ..



ثم أعلن المذيع أن وفدا من ( إمبيريا ) قادم إلى الشرق الأوسط لدراسة إجراء مفاوضات مع بقايا العظايا .. قالها في النشرة الأولى ثم عدل الاسم إلى ( المتمررون العرب ) .. وفي النشرات التالية تحول الاسم إلى ( الثوار العرب ) .. هكذا ! كاد يستفزني إلى حد أن أفجر قنبلة ثانية !

جاءت أخبار أخرى عن وقف الزحف نحو القطاع الشمالي الغربي من إفريقيا .. ستتوقف العمليات بعض الوقت حتى يتبلج الضباب .. ليس هذا خضوعا للابتزاز - كما قالوا - لكنه حرص على سلامة مواطنيهم ..

- « إنهم خائفون لكنهم يتظاهرون باللامبالاة ! »

قالها ( جمشيد ) في رضا وهو يتابع الأخبار فهزرت رأسي في فخر ..

قلت وأنا أنهض :

- « يجب أن يخافوا .. هم مهددون بفقد كل شيء .. بينما نحن - عمليا - لن نفقد أي شيء إلا حياة لا قيمة لها .. سيظل شبح القتابل للباقية جاثما فوق رؤوسهم لأعوام عديدة .. يجب أن يعرفوا أن الخوف لعبة يلعبها لثان .. وأنه لا يوجد بشر بلا ثمن لأرواحهم .. اعتقد الآن أنكم في الطريق الصحيح .. لا أعرف طوله لكنه مرهق شاق .. »

قال في حكمة وهو يطفئ جهاز التلفزيون :

- « ليكن خمسين عاما أو مائة .. هذا لا قيمة له في حياة الشعوب .. أنا سأكون في القبر خلال عام أو عامين ، لكنني سأموت راضيا لو عرفت أن وجودنا لن يزول .. وأنا لم نعد عظايا .. »

- « العظايا انقضت لأنها بلا عقل ولا إرادة .. لا يمكن أن نكون عظايا أبدا إلا لو فقدنا عقولنا وإرادتنا .. »

ثم عاتقته طويلا .. كان يعرف أننا الآن راحلون ..

- « شكرا لك يا ( سالم ) .. فقد ساعدتنا كثيرا .. »

- « شكرا لك يا ( جمشيد ) فقد علمتنا كثيرا .. »

وأمسكت بيد ( سلمى ) على حين ضغطت هي على أزرار الجهاز بالترتيب المعروف ..

وتلاشت الصحراء من حولنا ..

\*\*\*

## الخاتمة ..

الآن أعود لكم أنا (رفعت إسماعيل) العجوز بعد ما  
فرغت من قراءة هذا الخطاب ..

ما زالت عندي قصة أخيرة للأخ (سالم) هي (أرض  
الظلام) .. ولا أعرف لماذا لم يذرنى منذ اليوم الذى قدم لى  
فيه قصته (أرض أخرى) .. هل مازال على كوكبنا لم أننا  
كنا مجرد مرحلة من جولاته عبر الأكوان ؟

على كل حال أمل أن تكونوا قد أحببتم قصته هذه .. إنها  
كثيرة لكنى لا أعد بأن تكون (أرض الظلام) أقل قتامة ..  
قصة يكون هذا عنوانها - والمفترض أنه أكثر أجزائها بهجة  
وجاذبية - فكيف تكون أحداثها إذن ؟

فى الكتيب القلم أعود لكم بقصتى .. أو شهفتى عن تلك  
لطفلة قريبة (ملجى) لتي جئت أو مستها (رونيل) السوداء ..  
لقد راهنت على أننى سأجد الحل بسهولة لكنى كنت  
مخطئاً لأن ...

ولكن هذه قصة أخرى ..

و رفعت إسماعيل  
القاهرة



ما وراء الطبيعة

روايات تحسيس الانتفاضة  
من طرف القديس والربيع والآخر

روايات همزة الجذب

أسطورة أرض العظايا

حقاً لا يوجد

الكثير مما يقال .. هناك

( سالم ) و ( سلمى ) .. وهناك

أرض العظايا .. أعتقد أن

القصة أمست واضحة الآن !



د. احمد خالد توفيق

[www.dvd4arab.com](http://www.dvd4arab.com)  
Hany3H

المؤسسة العربية للدراسات

العدد ٢٤٠  
بالدولار الأمريكي  
في شائر الدول العربية والعالم

العدد القادم :  
أسطورة رونيل السوداء